قرآن يتلى لإنسانية ترقى

الأساس في أصول التفسير

الأستاذ الدكتور

عبد السلام مهنا المجيدي

أستاذ الدراسات القرآنية/ كلية الشريعة/ جامعة قطر

الإهداء

إلى: الذين سارعوا في الخيرات، وسابقوا إلى مغفرةٍ من ربهم بإزجاء **أفنان** المساعدة للكاتب، فازدانت **بميسان** الإحسان، وارتفعت بعز التواضع **عبادةً لله** الكريم **الرحمن**:

يتصدر محرابهم القانت شيخي الشيخ إسماعيل عبد العال أحمد المريخي الشرقاوي -رحمه الله تعالى-: أُشربت منك حب التعلق بكل ما اتصل بكتاب الله المتين، فصرتَ -في عيني- عبداً لله محمداً محموداً إماماً للمتقين، وجعلكَ الله ﷻ سبباً في أن يكون القرآن شعوراً فياضاً يملأ جسدي، وروحاً أمارة بالخير تسري في جوانحي، ونوراً يشع في عواطفي، وأنبتَّ في نفسي أن استظهار امرئٍ لآيات الكتاب هو المنة العظمى؛ إذ قد آتاه الله ﷻ السبع المثاني والقرآن العظيم والعاقبة للتقوى، فلا يمدن عينيه إلى ما سواه من متاعٍ زنيمٍ، عسى أن ينال الدرجات العلى، وما يكون ذا إلا **وليد** مجاهدةٍ، تستصحب صبر أولي العزم، فإذا صاحِبُها عارفٌ في **عرفات، نبيلٌ** في **رياض** الأرض والسموات، والقرآن **سميرك** غير المفارق.. شفاءً لما في صدرك، وهدىً، وموعظةً، **وزيداً** في إيمانك المخبت الواثق.. فأحببتك حب الملهوف الوامق.. وُهِبتَ بذلك رحمةً من ربك ترجوها؛ إن فضله كان عليك كبيراً.

ويمضي مرشداً لمسيرتهم سائر شيوخي، فقد حفَّتني بنعمة صحبتهم رحمةٌ من ربي أرجوها، فرأيت فيهم معنى ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ قد تجسدت بشراً نقياً، وتوسمت فيهم الصدِّيقية، هاتُفها: (يا بني! اتبعني أهدك صراطاً سوياً)، فبذروا فيّ معاني: (ربِّ علمني الكتاب والحكمة، وعلمني ما لم أكن أعلم، واجعل فضلك عليَّ عظيماً)، وقذفوا في قلبي أن بهارج الدنيا-علماً كانت، أو متاعاً- لا تدخل معي القبر، ولا تنجي من تبعة الوزر، ولا ترفع الإصر.

وإلى: سائر المباركين المفلحين: وهب الله لكم من رحمته، وجعل لكم لسان صدقٍ علياً.

المقدمة

الحمد لله حمداً يبلغني رضاه، وإن كان جهد الحمد لا يفي بشكر نعمة واحدة من نعمه. اللهم تجاوز عن تقصيري في حمدك ومرضاتك، وصل الله وسلم على النبي المصطفى، والحبيب المجتبى، والشفيع المرتجى، وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً دائمين في كل لحظة أبداً عدد كلماتك التامات المباركات، وبعد:

فقد قام الرسول ﷺ وعلى آله وصحبه بجهدٍ دائبٍ متواصلٍ ليجعل أمته في ذرا مراقي الهداية، ويمنحها سلم القيادة العلمية والعملية للبشرية من خلال الوحي الذي أمره الله بتبليغه، وجعل التبليغ يأخذ ثلاث أشكال تعليمية عملية ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وتلاوة الآيات تقتضي بيان اللفظ القرآني، وتعليم الكتاب يقتضي بيان معناه، ولقد قام النبي ﷺ بذلك خير القيام وأحمده، فـ " تلقى الجيل الأول منه ﷺ القرآن الكريم، وتلقى الجيل الثاني من الجيل الأول وهكذا دواليك"[1] حتى وصل إلينا لننال حظنا من تلاوته وفهمه وتدبره، وتقديمه منار هدايةٍ للبشرية، وسارع العلماء وطلبة العلم قديماً وحديثاً في كتابة ما يبين للناس سعة معانيه، ويبلغهم مراد ربهم من كلامه ومقاصده ومراميه، وما زالت الكتابات تترى.. وستظل تتجدد تدهش الورى، وترفع الراغبين منهم إلى الذرا ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ففي كتابه تعالى تبيانٌ للسعادة القصوى ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٢، ٣].

وفي سبيل فهم القرآن العظيم وتفسيره أُلزم طلاب الجامعات في مرحلتي الدراسات الجامعية والعليا بدراسة مقرر في أصول التفسير وقواعده لمسيس

(١) مقدمة الفوز الكبير للدهلوي.

حاجتهم لمعرفة فواتح فهم القرآن، وأصول تدبره، وقواعد تفسيره، فأسهمتُ في ذلك بكتابة مؤلَّفٍ سُمي التنوير .. إسهاماً متواضعاً ضمن تلك المحاولات التي تتشرف بانتسابها إلى الكتاب الكريم، ثم طلبه غيرهم فاختصرته في هذا المختصر المسمى بالأساس عسى أن يبين الأصول العامة للتفسير، ويوضح أهم قواعده، وقد اجتهدت في إيراد بعض القواعد التفسيرية مما ذكره علماء التفسير، كما حاولت صياغة بعضها مما انقدح في الذهن أثناء مطالعة كتبهم رحمهم الله، وقد قام فضيلة الشيخ الهمام ذي القلب الريان، والقلم الهتَّان/ الشيخ طالب زيدان -جزاه الله خيراً، ورفعه مكاناً علياً في الدارين- بنظم أهم قواعد هذا الكتاب، وهو ما أذكره من نظمٍ بعد كل قاعدة.. راجياً بالانتساب إلى القرآن مغفرةً ورحمة، وأن يلحقني ربي بالصالحين فأنعم به سبحانه ولياً ونصيراً، فهو الذي وصف كتابه بقوله: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٢].

الفصل التمهيدي
مبادئ علم أصول التفسير

الفصل التمهيدي: مبادئ علم أصول التفسير

المبحث الأول: أهم المؤلفات في أصول التفسير والموضوعات المندرجة فيه:

يمكن تصنيف المؤلفات في هذا العلم الشريف إلى ست مجموعات ذكرت في الأصل، ويمكن الاكتفاء بالإشارة إلى الكتب الآتية:

١. مقدمة في أصول التفسير لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ).
٢. الفوز الكبير في أصول التفسير لولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (ت١١٧٦هـ).
٣. العون الكبير شرح الفوز الكبير لسعيد أحمد بن محمد يوسف البالنبوري: وهو شرح الكتاب السابق.
٤. الإكسير في أصول التفسير: لمحمد صديق خان بن السيد حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري أبو الطيب القنوجي الهندي المحدث أمير مملكة بهوبال (ت ١٣٠٧هـ).
٥. كتب معاصرة مثل: أصول التفسير وقواعده لخالد العك، بحوث في أصول التفسير ومناهجه للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار.
٦. وكتب التفسير المشهورة، وكتب قواعد التفسير مثل: (التيسير في قواعد علم التفسير) لمحمد بن سليمان الكافيجي (ت ٨٧٩هـ)، القواعد الحسان لتفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، قواعد التفسير جمعاً ودراسة للدكتور خالد بن عثمان السبت، قواعد الترجيح عند المفسرين للشيخ خالد الحربي.

المبحث الثاني: الموضوعات المندرجة في هذا العلم ترجع إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مصادر التفسير، وهي التي سماها ابن تيمية طرق التفسير، وسماها الزركشي أمهات مآخذ التفسير.
القسم الثاني: علوم القرآن التي تؤدي إلى فهم الخطاب القرآني.
القسم الثالث: أهم قواعد التفسير التي تكثر الحاجة إليها.

المبحث الثالث: مبادئ علم التفسير

قاعدة: علاقة علم أصول التفسير بالتفسير هي علاقة الوسيلة بالغاية، والآلة بالمقصد.

ولذا لا بد من التعرف إلى علم التفسير من الناحية العامة (وهو ما نسميه مبادئ علم التفسير) حتى تكون الصورة المتكاملة عنه حاضرةً في ذهن طالب علمه.

تعريف علم التفسير:

لغة: التفسير مأخوذ من المعاني الآتية:

١) التفسير (تفعيل) مأخوذ من الفَسْر، وهو البيان[٢] فهو يستعمل في الكشف والإظهار للمعاني المعقولة: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣] أي أحسن بياناً وتفصيلاً، وظهوراً في معناه"[٣].

٢) ويستعمل التفسير في الكشف الحسي، ومنه التفسرة وهو نظر الطبيب إلى ما يخرج من الإنسان لكشف علله[٤].

---

(٢) لسان العرب ٥/ ٥٥.
(٣) انظر: الكليات ص٢٦٠.
(٤) لسان العرب ٥/ ٥٥.

٣) وقيل هو مقلوب من سفر ومعناه أيضاً الكشف يقال: سَفَرَتِ المرأة عن وجهها فهي سَافِرٌ، وأسْفَرَ الصبح أضاء وفي الحديث: ((أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر))[٥]، **ولغة العرب زاخرة بالكلمات المقلوبة التي لها معنى واحد**[٦]، وأشار الراغب إلى تقارب معنى الفسر والسفر كتقارب لفظيهما[٧]، وجعل ابن فارس جميع الأقوال تؤول إلى معنى واحد هو بيان شيءٍ وإيضاحه[٨].

اصطلاحاً: اخْتُلِفَ في تعريف علم التفسير على أقوال نختار منها هذين التعريفين:

التعريف الأول: تعريف أبي حيان بأنه: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات ذلك"[٩].

التعريف الثاني للتفسير: علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[١٠].

موضوع علم التفسير: هو كلام الله سبحانه الذي هو الدستور الذي تتفرع عنه كل العلوم الإيمانية الاعتقادية والفقهية والسلوكية التربوية واللغوية، ويورد الكاتب هنا عبارة ذهبية لبديع الزمان النورسي في وصف القرآن الكريم إذ يقول في القرآن: "هو الترجمةُ الأزلية لهذه الكائنات، ومفسّرُ كتاب العالَم، وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة"[١١].

حكم تعلم علم التفسير: فرض كفاية.

---

(٥) مختار الصحاح ١/ ٣٢٦، والحديث رواه الترمذي٢٨٩/١، وقال: "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني، وراه أحمد ١٤٢/٤، وصححه الأرناؤوط.

(٦) انظر: أدب الكاتب ص٣٨٢.

(٧) انظر: مفردات القرآن ٦٨٩/١، و ٢/ ١١١٥، وقد نقله الزركشي في البرهان ٢/ ١٤٨.

(٨) معجم مقاييس اللغة ١٥٦/٤.

(٩) البحر المحيط ٦/١، وهو التعريف الذي ارتضاه صاحب الكليات ونقله بتمامه. انظر: الكليات ص٢٦٠، وقد اكتفى الكاتب بذكر تعريف (التفسير) ولم يتكلم على كلمة العلم رغبة في الاختصار، وعدم تشتيت الذهن بأمر لا داعي له.

(١٠) منهج الفرقان في علوم القرآن ٦/٢.

(١١) إشارات الإعجاز ص٢٢.

غايته: "المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير"[١٢] كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

المبحث الرابع: من صور التفسير في عهد النبي ﷺ وصحبه رضي الله عنهم:

لم يكن التفسير القولي في عهد النبي ﷺ وصحبه رضي الله عنهم بالصورة الموجودة في كتب التفسير الآن، ولكنه اتخذ صوراً منها:

١) أن يكون بياناً للمشكل: فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: ((لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ (لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) بِشِرْكٍ أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: ١٣]))[١٣]، وكتفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِنْ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلاَةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلا نُطِيقُهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ

(١٢) التحرير والتنوير ١/ ١٨.
(١٣) البخاري ١٧٢/٤.

مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)) قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ وذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ نَعَمْ. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾. قَالَ نَعَمْ. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾. قَالَ نَعَمْ. ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. قَالَ نَعَمْ[١٤].

٢) أن يكون تفسيراً لغوياً كأجوبة ابن عباس رضي الله عنهما عن أسئلة نافع بن الأزرق، ومن أمثلتها:

أن نافعاً سأل ابن عباس عن قول الله عز وجل: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥] ما الشواظ؟ قال: اللهب الذي لا دخان فيه. قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك قبل أن ينزل الكتاب على محمد ﷺ؟ قال: نعم أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت:

ألا مَنْ مبلغٌ حسانَ عني ... مغلغلة تدب إلى عكاظ
أليس أبوكَ قيناً كان فينا ... إلى الفتيات فسلاً في الحفاظ
يمانياً يظل يشب كيراً ... وينفخ دائباً لهبَ الشواظ[١٥]

(١٤) مسلم ١/١١٥-١١٦.

(١٥) قصة نافع بن الأزرق مع ابن عباس رواها الطبراني في الجامع الكبير ٩/١٠٩، وأوردها السيوطي بتمامها في الإتقان ١/٣٤٧، وقد ضعف القصة عدد من المحققين منهم الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٣٨ قال: "وفيه جويبر وهو متروك"، كما أوردها السيوطي نقلاً عن ابن الأنباري في (الوقف والابتداء)، ويدور سياقها على محمد بن زياد اليشكري وهو كذاب إلا أن النقاد أجازوا الرواية في التفسير عن بعض من لا تُقبل روايته في الأحكام؛ لأن مَرَدَّ التفسير إلى اللغة، وهي تثبت بطرق عدة.

٣) أن يكون استنباطاً للأحكام في العموم والخصوص ودلالات الألفاظ: كقضية تقسيم الأراضي المفتوحة فيئاً حيث جمع فيها بين آية الغنائم في الأنفال وآيات سورة الحشر، فعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه جمع أناساً من المسلمين، فقال: إني أريد أن أضع هذا الفيء موضعه فليغد كل رجل منكم عليَّ برأيه، فلما أصبح قال: إني وجدت آيةً من كتاب الله تعالى -أو قال آيات- لم يترك الله أحداً من المسلمين له في هذا المال شيءٌ إلا قد سماه قال الله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]–قال: فهذه لهؤلاء- ثم قرأ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧]، ثم قرأ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر: ٨] فهذه للمهاجرين، ثم قال: فهذه لهؤلاء-ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] ثم قال: هذه للأنصار ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] ثم قال: [فاستوعبت هذه الآية الناس] فليس في الأرض مسلم إلا له في هذا المال حق أعطيه أو حرمه(١٦).

٤) قد يكون بياناً لسبب النزول.

٥) قد يكون تصحيحاً لفهمٍ خاطئٍ للقرآن الكريم: فعَنْ أَسْلَمَ أَبِى عِمْرَانَ قَالَ: غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَالرُّومُ مُلْصِقُو ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ مَهْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يُلْقِى بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ. فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ:

(١٦) مصنف عبد الرزاق ٤/ ١٥١، أبو داود ٢/ ١٥٦، وصححه المحقق، النسائي ٧/ ١٣٥، سنن البيهقي الكبرى ٦/ ٣٥١.

إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ الإِسْلاَمَ قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] فَالإِلْقَاءُ بِالأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ(١٧)، أو كما في قصة عمران بن الحصين في تصحيح فهم الخوارج لقول الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال:٣٩]. فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ قَالَ: أَتَى نَافِعُ بْنُ الأَزْرَقِ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: هَلَكْتَ يَا عِمْرَانُ قَالَ: مَا هَلَكْتُ، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: مَا الَّذِي أَهْلَكَنِي؟ قَالُوا: قَالَ اللَّهُ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾، قَالَ: قَدْ قَاتَلْنَاهُمْ حَتَّى نَفَيْنَاهُمْ، فَكَانَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، إِنْ شِئْتُمْ حَدَّثْتُكُمْ، حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ، قَالُوا: وَأَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، شَهِدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وَقَدْ بَعَثَ جَيْشًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا لَقُوهُمْ قَاتَلُوهُمْ قِتَالاً شَدِيدًا، فَمَنَحُوهُمْ أَكْتَافَهُمْ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنْ لُحْمَتِي عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِالرُّمْحِ، فَلَمَّا غَشِيَهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، إِنِّي مُسْلِمٌ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكْتُ، قَالَ: وَمَا الَّذِي صَنَعْتَ؟ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ: فَهَلاَّ شَقَقْتَ عَنْ بَطْنِهِ فَعَلِمْتَ مَا فِي قَلْبِهِ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ شَقَقْتُ بَطْنَهُ لَكُنْتُ أَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ، قَالَ: فَلاَ أَنْتَ قَبِلْتَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ، وَلاَ أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ(١٨).

المبحث الخامس: شرف علم التفسير

١) شرف العلم يكون باعتبار موضوعه وغايته، ولأن علم التفسير هو بيان مراد الله تعالى على وفق ما يستطيعه الفهم البشري فإن علم التفسير هو أشرف

(١٧) أبو داود ٢ / ٣٢٠، والترمذي ٢١٢/٥، وقال: حسن صحيح.
(١٨) ابن ماجة ٨٣/٥، وحسنه في مصباح الزجاجة، وكذا الألباني.

العلوم وأعظمها!!، **ولذا قال ابن عطية:** "فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظُلَم رمسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتنها حبالا، وأرسخها جبالا، وأجملها آثارا، وأسطعها أنواراً علم كتاب الله"(١٩).

٢) لعظم التفسير، فإن بقية العلوم الشرعية انبثقت عنه فكان أول العلوم الإسلامية تدوينا "إذ هو الأصل في فهم القرآن وتدبره، وعليه يتوقف استنباط الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام"(٢٠)، وأمر الله بتدبره وتفهمه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص:٢٩)، وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (النساء:٨٢)، (القتال:٢٤).

٣) وهذا العلم هو الذي دعا به النبي ﷺ لنبلاء أصحابه وساداتهم: كابن عباس أن يعلمه الله تأويل القرآن الكريم: ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))(٢١).

٤) قال أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني (ت٥٠٢هـ): "**علم التفسير قد حاز الشرف من جهات ثلاث: أحدها من جهة الموضوع، وثانيها: من جهة الغرض، وثالثها: من جهة شدة الحاجة**" (٢٢).

٥) القرآن حوى ثمرات الكتب السماوية السابقة ونسخ منها مالا حاجة لامتداده، وتمم ما أراد الله أن يكمله ليبقى مدى الأزمان صانعاً للحياة، صابغاً لها بصبغة الله تعالى، شافياً لأسقامها، بانياً لنهضتها فالله " جعل كتابه المنزل عليه متضمنا لثمرة كتبه.

كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقا ومغاربا"(٢٣)

---

(١٩) تفسير ابن عطية ١/٦.
(٢٠) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص٢٠ للدكتور محمد أبي شهبة.
(٢١) روى البخاري ١/ ٦٦ الشطر الأول منه، وفيه ١/ ٤١: عن ابن عباس قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: اللهم علمه الكتاب، ورواه كاملاً الإمام أحمد ١/ ٢٦٦.
(٢٢) أبجد العلوم ٢/ ١٧٥.
(٢٣) المفردات للراغب الأصبهاني ١/٢٠.

وفي ذلك يقول سيد قطب: "والبشرية من صنع الله تعالى؛ ولذلك لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله خالقها، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده سبحانه، وقد جعل الله مفاتيح كل مغلق، وشفاء كل داء في كتابه المجيد: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء:٨٢)"[٢٤].

قاعدة (حقيقة): احتياج القرآن للتفسير سببه كمال القرآن ونقص الإنسان:

إنَّ احْتِيَاجَ الذِّكْرِ للتَّفْسِيرِ مِنْ كلِّ حَبْرٍ رَاسِخٍ نِحْرِيرِ
سَبَبُهُ الكَمَالُ للقُرْآن أصَالَةً والنقْصُ للإنْسَانِ

سواء أكان هذا النقصان في الفهم أو في الاستنباط:

فأما الفهم فيتعلق بتنزيل الآيات على الواقع، وأشار إلى ذلك حبر القرآن وترجمانه، فقد خلا عمر بن الخطاب ﷺ ذات يوم يحدث نفسه فأرسل إلى ابن عباس فقال: كيف تختلف هذه الأمة، ونبيها واحد، وكتابها واحد، وقبلتها واحدة. فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم أنزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن، ولا يعرفون فيم نزل فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا[٢٥].

وأما الاستنباط فيتعلق بتجدد الأحداث مع ثبات النصوص تحوج إلى من يستنبط دخول الأحداث المتجددة في معاني تلك النصوص كما قال تعالى: ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (النساء:٨٣)، وكما قال معاذ بن جبل ﷺ: ((لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل سُدِّد، وإذا قال وُفِّق))[٢٦].

---

(٢٤) في ظلال القرآن ١٥/١.
(٢٥) سنن سعيد بن منصور ١/ ١٧٦.
(٢٦) سنن الدارمي ٦٨/١.

المبحث السادس: أنواع التفسير

التقسيم الأول: باعتبار محتوى التفسير ومضمونه:

١) التفسير اللغوي: ببيان معنى المفردة القرآنية من حيث اللغة كأسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنه.
٢) التفسير البياني: ويبحث عن أوجه الإعجاز البيانية والبلاغية في المفردة أو الجملة القرآنية كتفسير الكشاف للزمخشري، وتفسير أبي السعود، والتحرير والتنوير ثم ألفت فيه مؤلفاتٌ مستقلةٌ كالتفسير البياني لبنت الشاطئ، والتعبير القرآني، ولمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي.
٣) التفسير النحوي: وفيه بيانٌ لإعراب القرآن الكريم، والمشكلات النحوية من خلال القرآن، والتفاسير المذكورة في التفسير البياني تعبر عنه، كما نجد كتباً معاصرةً حاولت استخلاص نظرية للنحو القرآني ككتاب: النحو القرآني للدكتور أحمد الأنصاري.
٤) التفسير الفقهي: ويختار المفسر فيه آيات الأحكام فيجعلها أهم مواد تفسيره ويقوم بتحليلها، ككتاب الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ومن ذلك كتب أحكام القرآن: للإمام الشافعي، وابن العربي وغيرهما.

وعلى هذا المنوال يمكن إضافة: التفسير التاريخي أو القصصي الذي يتناول قصص القرآن، أو يفسر التاريخ بحسب ما ورد في القرآن، وعلى هذا المنوال يمكن إضافة التفسير الفني أو التصويري الذي يتكلم على التصوير الفني والتفاعلي في القرآن الكريم.

التقسيم الثاني: باعتبار أسلوب التفسير: يمكن تقسيمه إلى الأنواع التالية:

١) التفسير الإجمالي: وفيه يشرح المفسر المعنى العام للآيات إجمالاً، مع بيان غريب الألفاظ والربط بين المعاني في الآيات.
٢) التفسير التحليلي (ويسمى الموضعي أو التجزيئي): وهو يقابل التفسير الإجمالي، والمراد منه فهم مدلول اللفظ فيهتم المفسر بتحليل الآيات القرآنية وتفصيلها آية آية.

٣) التفسير المقارن: وفيه يقرن المفسر بين أقوال المفسرين ويوازن بينها.
٤) التفسير الدلالي: وهو يهتم بالبحث عن دلالةِ لفظةٍ معينة في القرآن الكريم، ومن أنفع الكتب المؤلفة فيه: المفردات للراغب الأصفهاني.
٥) التفسير الموضوعي: وقد يسمى التفسير التوحيدي، وهو يهتم غالباً بالتالي:

أ) موضوع السورة الواحدة.
ب) موضوع قرآني معين: فيجمع فيه جميع الآيات التي تتكلم عليه كآيات الصبر في القرآن، وآيات العلم، وآيات قصة موسى عليه السلام مثلاً، والسِّلْم الاجتماعي في القرآن الكريم وهكذا.
ج) موضوع قرآني معيَّن في سورةٍ بعينها.

والهدف من التفسير الموضوعي بيان الرؤية القرآنية للقضايا العامة والتفصيلية في شؤون الحياة الدينية والدنيوية.

التقسيم الثالث: باعتبار مصدر التفسير:

يرجع التفسير باعتبار مصدره إجمالاً إلى ثلاثة أنواع:

١) التفسير بالمأثور: أي تفسير القرآن بما أثر عن الله تعالى في كتابه، وعن الرسول ﷺ في سنته، وعن الصحابة الكرام رضي الله عنهم في أحاديثهم التي لها حكم الرفع، ويسمى تفسيراً بالرواية.
٢) التفسير بالرأي: أي ما كان مصدر التفسير فيه الاجتهاد والاستنباط من لدن الصحابة رضي الله عنهم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها سواء كان هذا الاستنباط صحيحاً أو فاسداً.
٣) التفسير اللغوي: أي ما أرجع المفسر فيه تفسير اللفظة أو التركيب إلى اللغة، وقد يدخل هذا النوع الاجتهاد إذا كان أصل الكلمة اللغوي محتملاً.

المبحث السابع: بين التفسير والتأويل:

تعريف التأويل:

التأويل في اللغة: يرجع إلى القولين الآتيين[٢٧]:

١) مأخوذ من الأَوْل: آل إليه أولاً ومآلاً: رجع، والمآل هو العاقبة والمصير.

٢) التأويل مأخوذ من الإيالة وهي السياسة لأن المفسر يَسُوسُ الكلام كما يَسُوس الراعي رعيته، فيلتمس المؤولُ للكلام أصلحَ المعاني كما يلتمس السياسيُّ أصلحَ الأحوال لرعيته.

التأويل في الاصطلاح:

التأويل عند السلف جاء لمعان، ومنها: تفسير الكلام وبيان معناه: سواء أوافق ظاهره أم خالفه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين، وهذا هو ما عناه مجاهد في قوله: "إن العلماء يعلمون تأويله" يعني القرآن، وما يعنيه ابن جرير الطبري بقوله: "القول في تأويل قوله تعالى كذا".

أما التأويل عند المتأخرين فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف، وقد قال السيوطي في الكوكب الساطع:

الظاهر الدال برجحانٍ وإن ... يحمل على المرجوح تأويل زكن

صحيح إن كان دليل أو حسب ... ففاسد أو لا لشيء فلعب[٢٨].

ومن أمثلة التأويل الصحيح القريب الراجح على الظاهر بأدنى دليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (المائدة:٦) أي عزمتم على القيام إليها.

---

(٢٧) انظر: لسان العرب ٣٢/١١، أساس البلاغة ص١٤.

(٢٨) انظر: سلم المطالع ص٢٤١.

ومن أمثلة التأويل الفاسد البعيد: ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ (المجادلة:٤) أوله الحنفية بالمُد فجعلوا الذي لم يذكر هو الأصل والمذكور غير مقصود، كما قال في مراقي السعود:

فجعل مسكين بمعنى المد عليه لائح سمات البعد[٢٩]

ومثال اللعب: تأويل بعض الغلاة: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (الرحمن:١٩) على سيدنا علي وسيدتنا فاطمة رضي الله عنهما، وتأويل البقرة في سورتها بالسيدة عائشة رضي الله عنها.

قاعدة: الأصل حمل الكلام على ظاهره إلا بدليل صحيح.

الفرق بين التفسير والتأويل والنسبة بينهما:

قال ابن حبيب النيسابوري: "نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه"[٣٠]، وممن ألف في الفرق بينهما الشيخ حامد بن علي الدمشقي العمادي (ت١١٧١هـ) فله التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل[٣١]، وحاصل العلاقة بين التفسير والتأويل يمكن اختصارها في:

١) **الترادف**: وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير، ومثل ذلك ما نقله ابن منظور عن بعض علماء العربية[٣٢]، وهو استعمال بعض المفسرين كالإمام الطبري.

٢) العموم والخصوص: فالتفسير أعم، والتأويل أخص.

٣) التباين: فالتفسير ما يرجع إلى الرواية أو إلى المعنى المباشر، والتأويل ما يرجع إلى الدراية أو المعنى غير المباشر وقد يكون صحيحاً، وقد يكون فاسداً، وقد يكون تلاعباً بالنصوص كما سبق.

---

(٢٩) انظر: نثر الورود على مراقي السعود ١/ ٣٣٠.

(٣٠) الإتقان ٢/ ٤٠، وانظر التفسير والمفسرون ١/٢١.

(٣١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ١/ ١٨٤.

(٣٢) انظر: لسان العرب ٥/ ٥٥.

أنواع التفسير بحسب قاعدة التأويل والتفسير:

يمكن القول بأن التفسير تفسيران:

تفسير وسيلة (التفسير): وهو الذي يتكلم فيه المفسرون على حل الألفاظ والجمل، والنكات البلاغية، والنقل الروائي المجرد، والحكم الفقهي المحض.

وتفسير غاية (التأويل): وهو الذي يستبين من خلاله اللمسات التربوية والتزكوية الفردية والجماعية الموصلة لارتباط العالم بالنور الإلهي "على وجه يجتذب الأرواح ويفتح القلوب ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدى الله"[٣٣] كما وصف الله كتابه بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة:٢)، فالأول موصل للثاني وخادم له إنما المعيب هو الإغراق في الأول حتى ينسى الثاني، **ولذا نجد الشوكاني على سبيل المثال إذا وقف متأثراً عند تفسير آية أردفها بكلام يفيد بيان وجه الهداية فيها، ومن ذلك قوله بعد تفسير قوله تعالى:** ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(النحل:١٨):

"ربَّنا: هذه نواصينا بيدك خاضعةٌ لعظيم نعمك، معترفةٌ بالعجز عن بادية الشكر لشيءٍ منها، لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، ولا نطيق التعبير بالشكر لك: فتجاوز عنا، واغفر لنا، وأسبل ذيول سترك على عوراتنا، فإنك إن لا تفعل ذلك نهلك بمجرد التقصير في شكر نعمك، فكيف بما قد فرط منا من التساهل في الائتمار بأوامرك والانتهاء عن مناهيك"[٣٤].

(٣٣) مناهل العرفان ٢/ ٦.

(٣٤) فتح القدير للشوكاني ٣/ ٢٢٠.

المبحث الثامن: مبادئ علم أصول التفسير

تعريفه: هو: العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى فهم القرآن وتفسيره، وتبنى عليها جزئيات التفسير، وتعرف بها مناهج المفسرين[٣٥].

فنسبة علم أصول التفسير إلى علم التفسير: نسبة الآلة والوسيلة إلى الغاية.

غايته: غايته معرفة كيفية فهم معاني النظم القرآني الكريم، والسبيل الصحيح لتفسيرها وإيضاحها لتنال به سعادتا الدنيا والآخرة.

فائدته: حصول القدرة والملكة في العقل البشري لاستخراج أحكام القرآن الكريم وحِكَمِه على وجه الصحة والدقة العلمية.

أهميته:

١) إيجاد النظرة العامة المتوازنة لتفسير النصوص مما يترتب عليه العدل في حياة الناس: كما جاء عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « ... وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ..»[٣٦]، ولذا قال ابن تيمية: "لابد أن يكون مع الإنسان أصولٌ كليةٌ ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلمٍ وعدلٍ ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذبٍ وجهلٍ في الجزئيات، وجهلٍ وظلمٍ في الكليات، فيتولد فسادٌ عظيم"[٣٧].

٢) ليستطيع طالب العلم حفظ العلم المتعلق بالتفسير بأبسط طريقٍ وأقرب منالٍ من خلال الأصول التي يتعلمها كما قال الإمام الزركشي: "فإن ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة هو أوعى لحفظها، وأدعى لضبطها... "[٣٨].

٣) لتستبين القوانين العامة في معرفة تفسير القرآن الكريم.

---

(٣٥) انظر طريق الوصول للسعدي ص٩.

(٣٦) أبو داود ٤/٤١١، وحسن سنده الحافظان العراقي وابن حجر.

(٣٧) مجموع الفتاوى ١٩/ ٢٠٣.

(٣٨) المنثور في القواعد ١/٦٥.

نشأة علم التفسير وأصوله:

١) نشأ علم أصول التفسير مواكباً لنشأة التفسير، إذ استبان منذ العصر مصادر التفسير الأساسية: القرآن الكريم كما في بيان معنى الظلم الوارد في آية الأمن في سورة الأنعام، والنبي ﷺ، واللغة العربية، وفي ذلك قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤)، وقال النبي ﷺ: ((ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العِيِّ السؤال))[٣٩]، وقد قال هذا زجراً لمن فسر آية التيمم على غير وجهها، ولم يضعها في مواضعها، وأخبرهم ﷺ أن من مصادر التفسير الاجتهاد من العالِمين المتمكنين في الفهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (النساء:٨٣).

٢) وفي أواخر عهد بني أمية وأول عهد العباسيين – كانت الخطوات الأولى للتصنيف والتدوين، حيث دُوِّنت السنة النبوية وهي تضم بين جنباتها تفسير القرآن الكريم، وأصول تفسيره. ثم سرعان ما اتجه العلماء إلى فصل العلوم بعضها عن بعض، فأصبح للحديث علماؤه ومصنفاته، وللتفسير علماؤه ومصنفاته إلا أن أهل العلم لم يفردوا أصول التفسير بالتأليف تحت هذا المصطلح (أصول التفسير) كما أفردوا أصول الفقه ومصطلح الحديث، وسبب ذلك أن العلوم جميعها (الحديث ومصطلحه، والفقه وأصوله، وعلوم اللغة) تعد كالأصول للتفسير، فهي الأساس في فهم التفسير.

٣) ويمكن أن يُشار هنا إلى ما فعله الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- في إخراجه كتاب "الرسالة" التي تُعَدُّ أولَ إخراجٍ علمي في العلمين: أصول الفقه وأصول التفسير، حيث تحدث فيها عن الكتاب والسنة، وعن مراتب البيان، كما تحدث فيها عن الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، وهذه كلها علوم مشتركة بين أصول الفقه وأصول

(٣٩) أبوداود ١٥٤/١، ابن ماجة ١٨٩/١، وقد حسنه عدد من أهل العلم كمحقق هذين الكتابين.

التفسير، ولم يسبق الشافعيَ أحدٌ إلى ذلك كما قال الإمام الجويني في شرح الرسالة(٤٠).

قاعدة: يتفاوت الناس ومنهم الصحابة ﷺ في فهم القرآن الكريم:

فـ"قد يظهر لبعضهم ما لم يظهر لبعضٍ آخر منهم في تفسير القرآن الكريم"(٤١)، **ومن أمثلة ذلك:**

١) حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ (البقرة:١٨٧) عَمَدْتُ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ فَلاَ يَسْتَبِينُ لِي فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ(٤٢).

٢) ما جاء عن أنس ﷺ : "أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ (عبس:٣١) فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟. ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر"(٤٣)، هذا مع أن سيدنا عمر ﷺ هو الوارد فيه حديث فضل اللبن المشهور المؤول بالعلم(٤٤).

٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الشُرَّاب – يعني الخمر- كانوا يُضربون على عهد رسول الله ﷺ بالأيدي والنعال والعِصِي حتى توفي رسول الله ﷺ، وكانوا في خلافة أبي بكر ﷺ أكثر منهم في عهد رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر ﷺ: لو فرضنا لهم حداً. فتوخى نحواً مما كانوا يضربون في عهد رسول الله ﷺ فكان أبو بكر ﷺ يجلدهم أربعين حتى تُوفي، ثم قام من بعده عمر، فجلدهم كذلك أربعين، حتى أُتِيَ برجلٍ من المهاجرين الأولين، وقد كان شرب، فأمر به أن يجلد فقال: لم تجلدني؟ بيني وبينك كتاب الله عز وجل؟ فقال

---

(٤٠) البحر المحيط للزركشي ١/ ٧.
(٤١) التفسير والمفسرون ١/ ٣٩.
(٤٢) البخاري ٣٦/٣، مسلم ١٢٨/٣.
(٤٣) الحاكم ٢/ ٥٥٩، سنن سعيد بن منصور ١/ ١٨١، القرطبي ١٩/ ٢٢٣.
(٤٤) البخاري ٤٥/٩.

عمر ﷺ: في أي كتاب الله تجد أني لا أجلدك؟ فقال: إن الله تعالى يقول في كتابه ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ (المائدة:٩٣) فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا: شهدت مع رسول الله ﷺ بدراً والحديبية والخندق والمشاهد. فقال عمر ﷺ: ألا تردون عليه ما يقول؟ فقال ابن عباس: إن هذه الآيات أُنزِلت عذراً للماضين، وحجةً على الباقين لأن الله عز وجل يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ (المائدة:٩٠). ثم قرأ حتى أنفذ الآية الأخرى ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣] فإن الله عز وجل قد نهى أن يُشرَب الخمرُ. فقال عمر ﷺ: صدقتَ فماذا ترون؟ فقال علي ﷺ: نرى أنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون جلدة. فأمر عمر ﷺ فجُلِدَ ثمانين(٤٥)، وهذا الصحابي الذي تأول هذا التأول للآية ولم يضعها في موضعها هو قدامة بن مظعون ﷺ.

٤) ويوضح مسروق بن الأجدع تفاوت فهم الصحابة ﷺ في قوله: "جالستُ أصحابَ محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ- يعني الغدير- فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم"(٤٦).

(٤٥) المستدرك ٤/٤١٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤٦) الطبقات الكبرى ٢/ ٣٤٣.

الفصل الأول
أهم مصادر التفسير
(أمهات مآخذ التفسير)

الفصل الأول:

أهم مصادر التفسير (أمهات مآخذ التفسير)

المراد بمصادر التفسير: "المراجع الأولية التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره لكتاب الله، وإنما قيل: (المراجع الأولية)؛ لئلا تدخل كتب التفسير؛ لأنها تعد مصادر، ولكن الحديث هنا ليس عنها"[٤٧]، وقد سماها ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): طرق التفسير، وأحسنها عنده أربعة: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة ﷺ ، وأقوال التابعين[٤٨]، وسماها الزركشي (ت٧٩٤هـ) أمهات مآخذ التفسير[٤٩]، ووضع ابن تيمية قاعدة لها فقال:

قاعدة: "العلم إما نقلٌ مصدقٌ عن معصوم، وإما قولٌ عليه دليلٌ معلوم، وما سوى ذلك فإما مُزَيَّفٌ مردود، وإما موقوفٌ لا يُعلَم أنه بهرجٌ، ولا منقود"[٥٠].

والعِلْمُ نَقْلٌ صادِقٌ عن مَنْ عُصِمْ أوْ مَا مِنَ القوْلِ دَليلُه عُلِمْ

ويمكن تفصيل ذلك في المصادر الخمسة الآتية:

(٤٧) انظر: مصادر التفسير للدكتور/ مساعد الطيار، بحث منشور في شبكة التفسير والدراسات القرآنية.

(٤٨) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٦٣.

(٤٩) انظر: البرهان ١٥٦/٢، الإتقان ٤٧٢/٢، مناهل العرفان ٢/ ٣٦.

(٥٠) مقدمة ابن تيمية ص٤، وهي في مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٢٩.

المصدر الأول:

(القرآن الكريم) تفسير القرآن بالقرآن

قاعدة: القرآن يصدق بعضه بعضاً، فلا تناقض ولا اختلاف تعارض:

فصاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف له من غيره، ولأنه من عند الله فلا تناقض فيه كما جاء عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حُمر النعم. أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ على بابٍ من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حَجْرةً-أي منعزلين في ناحية- إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها [وهم يختصمون في القدر]، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً حتى احمر وجهه [فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب] يرميهم بالتراب ويقول: ((مهلاً يا قوم. بهذا أهلكت الأمم من قبلكم: باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض. إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، إنما نزل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه)) فقال عبد الله بن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلسٍ تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي[٥١].

من صور تفسير القرآن بالقرآن:

الصورة الأولى: (المقابلة بين الإيجاز والإطناب):

١) كقصة آدم عليه السلام وإبليس فقد جاءت مختصرةً في بعض المواضع كما في سورة الكهف، وجاءت مُسْهبةً مطولةً في مواضع أخرى كما في البقرة والأعراف والحجر وطه وص.

٢) **يُذْكَرُ شيءٌ في موضع، ثم يقع عنه سؤال وجواب في موضع آخر، مما يزيده وضوحاً وتفصيلاً:** كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(٥١) أحمد ٢/ ١٨١، ابن ماجة ١/ ٣٣، وصححه المحققان.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الفاتحة:٢) فقد وقع عنه سؤال وجواب في موضع آخر، وذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٣- ٢٤).

الصورة الثانية: أن يُحْمَلَ المُجْمَلُ على المبيَّن ليفسر به:

والمبين نوعان(٥٢)**:**

الأول: متصل: أي يقع البيان في المكان ذاته كما في قوله تعالى: ﴿ **وَكُلُوا** وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] بين المقصود بالخيطين بقوله ﴿ من الفجر ﴾.

الثاني: المنفصل: ومنه بيان العهد المأخوذ على بني إسرائيل المذكور في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (البقرة: ٤٠) حيث بينه في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢].

الصورة الثالثة: حمل المطلق على المقيد:

كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (آل عمران:٩٠) فإنها مقيدة بقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ

(٥٢) انظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢١٥، التفسير والمفسرون ٢٧/١، مناهل العرفان ١١/٢، قواعد التفسير ١/ ١١٠.

ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء:١٨).

الصورة الرابعة: حمل العام على الخاص:

مثل: نفي الخلة والشفاعة على جهة العموم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ﴾ (البقرة:٢٥٤)، وقد استثنى الله المتقين من نفي الخلة في قوله: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف:٦٧)، واستثنى ما أذن فيه من الشفاعة بقوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ (النجم: ٢٦).

والأنواع والصور الداخلة في هذا الباب كثيرة وقد ساقها الشنقيطي رحمه الله في مقدمة أضواء البيان كما ذكرها غيره.

قاعدة: تقوم القراءات القرآنية الثابتة مقام الآيات المتعددة:

فذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز[٥٣].

والآيات المتعددة في الموضوع الواحد توضح إحداها الأخرى في المعنى، أو تؤسس معنى جديداً كما في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (المائدة:١١٢) فهل يمكن أن يشك الحواريون في قدرة الله الذي يومئ إليه تعبيرهم: هل يستطيع؟ بينت لنا قراءة الكسائي المتواترة أن المراد من سؤالهم ليس الشك في قدرة الله، بل طلب الإذن من الله أن يصنع لهم ذلك ففي قراءة الكسائي: ﴿ هل تستطيعُ ربَّك ﴾ أي

(٥٣) النشر ٥٢/١، محاسن التأويل ١٩٥/١ مناهل العرفان ١٠٧/١.

هل تستطيع أن تسأل ربك؟ بمعنى هل يمكنك فعل ذلك دون حرج، فيكون المعنى من القراءتين جميعاً: هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ وإذا سألت ربك ذلك فهل يأذن ربك بفعل ذلك؟.

تَغَـــايُرُ القـــراءةِ المُعْتَبَـــرةْ يَكُـــونُ للتوْضـــيحِ والمُغـــايَرَةْ

فهْـــوَ إذاً مُؤَسِّـــسٌ لِمَعْنَـــى آخَرَ أوْ موضِحُ نَفْس المَعْنَى

ومن أمثلة ذلك: مَلِك، ومَالك قراءتان ثابتتان في قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، وهما تتضافران على توضيح الصورة العامة المعظمة لله تعالى في كونه ملكاً ومالكاً ليوم الدين.

مدى حجية هذا المصدر:

تفسير القرآن بالقرآن لا يخلو من أن يثبت بأحد طريقين:

"إما أن يكون طريقُهُ النقل، وإما أن يكون طريقُهُ الاستدلال"(٥٤).

والأول: هو التفسير بالرواية، ويقال له التفسير بالمأثور، والثاني: هو التفسير بالدراية، ويقال له التفسير بالرأي.

ومن هنا فإن تصنيف (تفسير القرآن بالقرآن)، في أحدهما يكون بالنظر إلى القائل به أولاً "أي فإن ثبت عن النبي ﷺ فهو حجة، وإلا فيكون استنباطاً ممن أضيف إليه من الصحابة فمن بعدهم، وعلى هذا فلا يكون هذا النوع من التفسير حجة مطلقاً بل يكون حجة إذا كان صادراً عن الرسول ﷺ ، وترجح حجيته إذا كان صادراً عن مفسر امتلك مؤهلات لم يتملكها مقابله كابن عباس، أو كعمر بن الخطاب، أو كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتتضاءل حجيته فيكون رأياً كغيره من الآراء إذا ثبت عن غيرهم.

(٥٤) مساعد الطيار: مصادر التفسير، مقال منشور في شبكة التفسير والدراسات القرآنية.

المصدر الثاني:

(السنة النبوية) تفسير القرآن بالسنة

سبب تفسير النبي ﷺ للقرآن: لأنه ﷺ أمر بتعليم الكتاب والحكمة، والبلاغ المبين الشامل للفظ والمعنى

قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ (القيامة:١٦ - ١٩)، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(المائدة:٦٧)، ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

مكانة هذا المصدر:

<u>مصدر التفسير النبوي إما أن يكون: ١) توقيفياً. ٢) توفيقياً.</u>

أمر الله -تعالى ذكره- بقبول ما صدر عن النبي ﷺ إذ "مرد الأمر في الحقيقة إلى الوحي في كلتا الحالتين، إما بالتعليم ابتداء، وإما بالإقرار أو النسخ انتهاء، ولذا وجب أن نتلقى سنته بالقبول ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (الحشر:٦) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(الأحزاب:٣٦) "[٥٥]، وألزم النبي ﷺ بأخذ بيانه للقرآن دون تفريط، وحذر ممن يفرطون فيه فقال: ((ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك

(٥٥) النبأ العظيم ص١٢.

رجل شبعان على أريكته أن يقول حين يأتيه الأمر من أمري فيما أمرت به، أو فيما نهيت عنه، فيقول: عندنا كتاب الله حسبنا، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله تعالى))[٥٦].

التفسير النبوي وكتب السنة النبوية:

ومن أهم مصادر التفسير النبوي كتب السنة النبوية وهي على ضربين:

الأول: المصنفات المسندة المستقلة، مثل: تفسير عبد بن حميد، وتفسير ابن مردويه، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير الطبري، وأكبر كتاب جمع ذلك كتاب: "الدر المنثور" للسيوطي.

الثاني: كتب السنة التي تفرد بابًا خاصًّا للتفسير، وقد خصص ابن الأثير في "جامع الأصول" مجلدًا تقريبًا للمروي عن النبي ﷺ في تفسير القرآن في الكتب الستة، وهي: صحيحا البخاري، ومسلم، والسنن: أبي داود، والترمذي، والنسائي، وموطأ مالك.

نوع التفسير الوارد في كتب التفسير التي في كتب الحديث:

أراد أئمة السنة النبوية بالتفسير هنا كل ما كان له تعلق بالسورة أو الآية لا مجرد شرح المعاني كما قال ابن حجر: "قوله باب ما جاء في فاتحة الكتاب أي من الفضل أو من التفسير أو أعم من ذلك"[٥٧] فيوردون الحديث أو الأثر الذي له نوع تعلقٍ بالقرآن الكريم أو بالآية منه سواء كان التعلق ظاهراً أم خفياً، وقد يذكرون الأثر لمجرد ورود الآية فيه، على أن هذا التعلق ولو لم يكن شرحاً لغريب أو بياناً لآية إلا أنه مما تواطأ على إدراجه في التفسير المتأخرون والمتقدمون في الكتب المبسوطة في التفسير، وإن كان تفسير كتب السنة لم يذكر فيه ما يذكره أئمة التفسير من بسط المسائل؛ إذ مرادهم إيراد الآثار التي لها أدنى تعلقٍ بالآية، ويلخص الإمام المحدث الحجة محمد أنور شاه الكشميري معالم التفسير في كتب الحديث في أول شرحه لكتاب التفسير في صحيح البخاري فيقول: "تفسيرُ المُصنِّف ليس على شاكلةِ تفسير المتأخِّرين في كَشْف المغْلقات، وتقرير المسائل، بل قَصَد فيه إخراجَ حديثٍ مناسِبٍ متعلِّقٍ به، ولو بِوَجْه، والتفسير

(٥٦) أبو داود ٢/ ٦١٠، أحمد ٤/ ١٣٠.

(٥٧) فتح الباري ٨ / ١٥٦.

عِنْد مُسْلِمٍ أقلُّ قليل، وأَكْثَرُ منه عند الترمذي، وليس عند غيرِهم من الصحاح الستِّ"[٥٨].

من أمثلة التفسير النبوي للآية مما يورده أئمة الحديث:

أورد البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة:١٤٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يُدعَى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلّغت؟ فيقول نعم. فيقال: لأمته هل بلّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فيشهدون أنه قد بلغ ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ فذلك قوله جل ذكره ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(البقرة:١٤٣))[٥٩].

قاعدة: يكثر الحديث المرسل في كتب التفسير، ومنه المقبول ومنه المردود:

ويَكثُرُ المُرسَلُ فِي كُتْبِ الأَلَى قَد فَسَّرُوا، مِثْلَ الغرانيق العُلَى

الحديث المرسل هو الذي لم يذكر في سنده اسم الصحابي الذي رواه عن رسول الله ﷺ[٦٠]، وملخص آراء المحدثين فيه أن لهم ثلاثة أقوال وهي القبول مطلقا والرد مطلقا والتفصيل[٦١]، ويمكن تلخيص كلام المحققين حول حكم الحديث المرسل في الآتي:

١)من عُلِمَ من حاله أنه لا يرسل إلا عن ثقة: فذهب جمهور المحدثين إلى التوقف لبقاء الاحتمال وهو أحد قولي أحمد، وثانيهما:

---

(٥٨) فيض البارى شرح صحيح البخارى ٢٥٥/٥.

(٥٩) البخاري ٤/ ١٦٣٢.

(٦٠) جامع التحصيل ص٢٣، والذي استقر عليه المتأخرون أن المرسل هو مرفوع التابعي، وهو الذي حكاه العراقي في ألفيته، وأخذه عنه السيوطي كأول الأقوال في ألفيته في قوله:

الْمُرْسَلُ الْمَرْفُوعُ بِالتَّابِعِ، أَوْ *** ذِي كِبَرٍ،أَوْ سَقْطُ رَاوٍ قَدْ حَكَوْا

(٦١) جامع التحصيل ص٢٣.

يقبل مطلقا، وقال الشافعي: يقبل إن اعتضد بمجيئه من وجهٍ آخر يباين الطريق الأولى مسنداً كان أو مرسلا ليترجح احتمال كون المحذوف ثقةً في نفس الأمر[٦٢].

٢)من عُرِفَ عنه بأنه يرسل عن ثقةٍ وغيرِهِ، فإرسالهُ روايةٌ عمّن لا يُعرَف حاله فهذا موقوفٌ فلا يقبل.

٣)وما كان من المراسيل مخالفاً لما رواه الثقات كان مردوداً.

٤)وذكر ابن تيمية ضابطاً آخر للقبول فقال: "والمراسيل إذا تعددت طرقها وخلت عن المواطأة قصداً أو الاتفاق بغير قصد: كانت صحيحةً قطعاً"[٦٣].

ومن أمثلة المراسيل الواردة في التفسير:

قصة الغرانيق: فعن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم فلما بلغ هذا الموضع ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ (النجم:١٩-٢٠) قال: فألقى الشيطان على لسانه (تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى) قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ (الحج:٥٢)[٦٤]. وحقق بعضهم أن الأحاديث الواردة فيها كلها مرسلة حاشا حديث ابن عباس، ولكن طرقه كلها واهية شديدة الضعف لا تنجبر بها تلك المراسيل فيبقى النظر في هذه المراسيل وهي سبعة صح إسناد أربعة منها...مع عدم قبولها[٦٥]، ولذا قال ابن كثير: "قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق...ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح"[٦٦]، ولا شك أن القصة غير صحيحة

(٦٢) شرح نخبة الفكر ص ١٧، وانظر: المستصفى ص ١٣٤.

(٦٣) مقدمة في أصول التفسير ص٢٢٠.

(٦٤) تفسير ابن كثير٣/ ٣٠٨، والحديث رواه الطبراني في الكبير٧/٤١٤.

(٦٥) نصب المجانيق ص٤٥.

(٦٦) تفسير ابن كثير٣/ ٣٠٨.

وتحمل التناقض في نفسها، فإن الله تعالى قال بعد هذه الآيات: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [النجم: ٢٣] فهذه الآية هاجمت اللات والعزى فكيف تقول هذه الرواية بأن النبي-ﷺ- أثنى عليها بإلقاء الشيطان على لسانه؟.

تفصيل وجوه تفسير السنة النبوية للقرآن الكريم:

الوجه الأول: تفسير القرآن بالقول (بالنص):

١) عن أبي هريرة ﷺ يقول: قال النبي ﷺ: ((ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف، واقرؤوا إن شئتم يعني قوله ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[٦٧]، وعند مسلم: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِى يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَتَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ». قَالُوا: فَمَا الْمِسْكِينُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « الَّذِى لاَ يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ وَلاَ يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا ».

٢) عن ابن أبي مليكة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي ﷺ قال: ((من حوسب عُذِّب)). قالت: قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]. قال: ((ذاك العرض، يُعرَضون ولكن من نوقش الحساب هلك))[٦٨] كما تدخل هذه الصورة في تخصيص العام.

الوجه الثاني: تفسير النبي ﷺ المستنبط من القرآن الكريم (احتمالاً):

وذلك بأن يخبر النبي ﷺ شيئاً فهمه من القرآن (إن لم يكن أوحي إليه)، كما ينقل الحافظ ابن كثير في تفسيره[٦٩] كقوله ﷺ: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو

---

(٦٧) البخاري٤/ ١٦٥١، صحيح مسلم٣/٩٥.

(٦٨) البخاري ٤/ ١٨٨٥.

(٦٩) تفسير النبي ﷺ للشيخ سلمان العودة ص٤٢-الكتاب منزل في موقعه الإسلام اليوم.

ساجد))[٧٠]، ربما استنبطه من: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ (العلق:١٩)، وعن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: ((لا يدخل النار -إن شاء الله- من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها)) قالت: بلى يا رسول الله! فانتهرها. فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(مريم:٧١) فقال النبي ﷺ قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم:٧٢)[٧١].

الوجه الثالث: تفسير أسباب النزول للقرآن الكريم:

فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة:١٩٨)، ما هو المقصود بالفضل؟ يحتمل أن يكون هو الذكر، والدعاء، والأجر، والآية شاملة جامعة لهذا كله، لكن من معاني الفضل التجارة في الحج. وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثَّموا أن يتَّجروا في المواسم، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة:١٩٨) في مواسم الحج"[٧٢]، أي ليس عليهم جناح أن يذهبوا للحج ويتاجروا فيه، فبيَّن سببُ النزول معنى الآية.

الوجه الرابع: تفسير السيرة النبوية والشمائل المصطفوية للقرآن الكريم:

فلما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ ، قالت: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)[٧٣] ويقول جابر رضي الله عنه في حديثه الطويل في سياق حجة النبي ﷺ: (ورسولُ الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا

---

(٧٠) صحيح مسلم ١/ ٣٥٠.

(٧١) صحيح مسلم ٤ /١٩٤٢.

(٧٢) البخاري ٤/ ١٦٤٢.

(٧٣) أحمد ٦/ ٩١.

به)[٧٤]، أي في الحج وغير الحج، فقد صلَّى وقال: ((صلوا كما رأيتموني أصلي))[٧٥]، فالصلاة كلها داخلة تحت قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، فالاهتداء بالقرآن، والعمل به يعد تفسيراً عملياً: وهنا نستطيع أن نقول إن النبي ﷺ فسر القرآن كاملاً لأن حياته أقوالاً وأعمالاً وتقريراتٍ كانت تفسيراً للقرآن الكريم، وبذا نفهم قول ابن تيمية "كان النبي ﷺ يبين لأصحابه معاني القرآن الكريم، كما يبين لهم ألفاظه، وقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤) يتناول هذا وهذا"[٧٦]، ولذا قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ : إنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قالوا: فعلمنا العلم والعمل[٧٧].

مقدار التفسير النبوي للقرآن الكريم[٧٨]:

القول الأول: لم يفسر إلا شيئاً قليلاً: وممن ذهب إلى هذا السيوطي: حيث قال في الإتقان: "قلت: الذي صح من ذلك قليلٌ جداً بل أصل المرفوع منه في غاية القلة وسأسردها كلها آخر الكتاب إن شاء الله تعالى"[٧٩]، واستدلوا على هذا بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئا من القرآن إلا آياً بعددٍ علّمَهُ إياهنّ جبريل عليه السلام [٨٠]، وممن ذهب إلى هذا الطاهر بن عاشور في ظاهر عبارته[٨١].

---

(٧٤) مسلم ٢/ ٨٨٦.

(٧٥) البخاري ١/ ٢٢٦.

(٧٦) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٣١.

(٧٧) مسند أحمد بن حنبل ٥/ ٤١٠.

(٧٨) انظر: بسطاً لهذه المسألة في: التفسير والمفسرون ١/ ٥٣.

(٧٩) الإتقان ٢/ ٤٧٣.

(٨٠) أبو يعلى ٨/ ٢٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٩: "رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه راو لم يتحرر اسمه عند واحد منهما وبقية رجاله رجال الصحيح".

(٨١) التحرير والتنوير ١/ ٩.

القول الثاني: فسّر النبيُّ ﷺ جميعَ القرآن: ويُنسَب هذا الرأي لابن تيمية، وهو ما فهمه السيوطي –رحمه الله تعالى- حيث قال: "وقد صرح ابن تيمية فيما تقدم وغيره بأن النبي ﷺ بين لأصحابه ﷺ تفسير جميع القرآن أو غالبه"[٨٢]. **وأدلة هذا القول:**

١) عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: كان آخر ما نزل من القرآن آية الربا، وإن نبي الله ﷺ قُبِضَ قبل أن يفسرها فدعوا الربا والريبة، وفي رواية: أن عمر ﷺ قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنه والله ما أدري لعلنا نأمركم بأمر لا يصلح لكم، وما أدري لعلنا ننهاكم عن أمر يصلح لكم، وإنه كان من آخر القرآن تنزيلا آيات الربا فتوفي رسول الله ﷺ قبل أن يبيّنه لنا فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم[٨٣]، ووجه الدلالة: "أنه كان يفسر لهم كلَّ ما نزل وأنه إنما لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها"[٨٤].

٢) حديث أبي عبد الرحمن السلمي في تعلم الصحابة للقرآن الكريم.

٣) وردّوا على الاستدلال بحديث عائشة رضي الله عنها بالآتي:

-بضعفه وبأنه "حديث منكرٌ كما قاله ابن كثير"[٨٥] فالحديث لا يصح، رواه البزار وغيره وهو معلول، في إسناده محمد بن جعفر الزبيري، وهو ضعيف لا يُحتج بحديثه.

- بتأويله: على أن المراد أحد أقسام القرآن من حيث التفسير وهي التي لا يعلمها إلا رسول الله ﷺ بتعليم جبريل عليه السلام إياه كما ذكره ابن جرير[٨٦]، قال ابن عطية: "ومعنى هذا الحديث في مغيبات القرآن وتفسير مجمله، ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوفيق من الله تعالى"[٨٧]، ونقد ابن عاشور هذا التأويل.

القول الثالث: الجمع بين القولين:

---

(٨٢) الإتقان ٢/٥٣٩.

(٨٣) تفسير الطبري ٣/ ١١٠، ابن ماجة ٢/ ٧٦٤، وصححه الألباني، أحمد ١/ ٣٦، وقال الأرناؤوط: "حسن رجاله ثقات رجال الشيخين" قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٦/ ٤٤: " وهذا مشهور محفوظ صحيح عن عمر".

(٨٤) الإتقان ٢/٥٣٩.

(٨٥) الإتقان ٢/٥٣٩.

(٨٦) انظر: تفسير الطبري ١/ ٦٢.

(٨٧) تفسير القرطبي ١/ ٦٦.

لا تنافي بين القولين: فقول السيوطي في هذا النوع: "الذي صح من ذلك قليل جداً بل أصل المرفوع منه في غاية القلة"[٨٨] صحيح إن نظرنا إلى مجرد الأقوال المباشرة لبيان المعنى، أما لو نظرنا إلى ما سبق من الوجوه الأربعة لتفسيره ﷺ ، وإلى أن سيرة النبي ﷺ هي بيان القرآن وتوضيحه وتفسيره، وحياته هي التطبيق العلمي للقرآن الكريم فإن تفسير النبي ﷺ بموجب ذلك يصبح واسعاً جداً.

قاعدة: تفسير النبي ﷺ بالمثال لا يمنع غيره من الأقوال:

توضيح القاعدة: تفسير النبي ﷺ لا يمنع فهماً آخر للآية بشرطين: أن تحتمل الآية ذلك التفسير، وأن يكون ذلك التفسير قائماً على أساسٍ اجتهاديٍ صحيح.

تَفْسِيرُه صَلّى عَلَيْهِ اللهُ لاَ يَمْنَعُ مِنْ فَهْمٍ إذَا مَا احْتُمِلاَ

مَا دَام مَبْنِياً عَلَى أسَاسِ صَحِيحِ الإجْتِهَادِ والقِيَاسِ

وذلك أن ورود التفسير من السنة له حالان:

الحال الأول: يرد التفسير النبوي فيمنع أي تأويل آخر للآية لأن تفسير النبي ﷺ إما أن يكون تخصيصاً لظاهر لا يحتمل التأويل، أو لأنه كلامٌ عن أمرٍ غيبيّ لا مجال للرأي فيه:

فمثال مالا يحتمل التأويل حديث بيان الظلم الوارد في سورة الأنعام، ومثل قول الثعالبي: "والحق الذي تقتل به النفس قد فسره النبي ﷺ في قوله ((لا يحل دم المسلم إلا بإحدى ثلاث خصال: كفرٌ بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس))"[٨٩] ففسر قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ (الفرقان:٦٨)، ويدخل في هذا الحال كل ما خصصه النبي ﷺ من عام بعد التأكد من أنه تخصيص وليس تنصيصاً.

(٨٨) الإتقان ٢/ ٤٧٢.

(٨٩) تفسير الثعالبي ٢/ ٣٤٠، والحديث رواه أبو داود ٢/ ٥٣٤ .

ومثال الأمر الغيبي الذي لا مجال للرأي فيه: عن مسروق قال: سألنا عبد الله (ابن مسعود) عن هذه الآية ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران: ١٦٩) قال: أما إنا سألنا عن ذلك فقال ﷺ : ((أرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ لها قناديل معلقةٌ بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطَّلَعَ إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا))[٩٠] فإن الحياة المذكورة في الآية قد فسرها الحديث فلا مجال فيها للاستنباط.

الحال الثاني: يرد التفسير النبوي لينصَّ على صورٍ بعينها في معنى الآية دون أن يمنع من استنباط معانٍ أخرى يفهمها المفسر بالاستنباط الاجتهادي الصحيح، وذلك لأن:

١) النبي-ﷺ- ذاته علمنا الاستنباط من القرآن الكريم.

٢) قد يكون تفسيره ضرباً لمثال فلا يمنع أمثلة أخرى إلا أن ما ضربه ﷺ من الأمثلة له أولوية الذكر.

أمثلة ذلك: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ((﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال:٦٠) ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي))[٩١]، والمراد الرمي بكل شيء سواء كان بالسهام كما في وقتهم، أو بالمدفعية والطائرات والصواريخ كما في عصرنا، ففي نحو هذا يتسع الأمر لاستنباط جديد يضاف إلى ما قرره النبي ﷺ، إذ يتسع معنى القوة لما هو أكثر من الرمي، ولكن النبي ﷺ نبه على أعلى أنواع القوة، **ومن ذلك ما جاء في تفسير ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]، وفي حديث المغضوب عليهم والضالين.**

---

(٩٠) صحيح مسلم ٣/ ١٥٠٢ .

(٩١) مسلم ٣/ ١٥٢٢.

المصدر الثالث:

(الصحابة) تفسير القرآن بأقوال الصحابة ﷺ

المبحث الأول: سبب تفسير القرآن بأقوال الصحابة ﷺ:

١) لأنهم المختارون لصحبة أشرف الخلق ﷺ ، فعَن ابن مسعود قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاخْتَارَ مُحَمَّدًا ﷺ فَبَعَثَهُ إِلَى خَلْقِهِ فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ وَانْتَخَبَهُ بِعِلْمِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بَعْدَهُ فَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُ أَصْحَابَهُ، فَجَعَلَهُمْ أَنْصَارَ دِينِهِ وَوُزَرَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ...)[٩٢]، وفي إرساء منهجية الأخذ من الصحابة ﷺ يقول ابن عمر وابن مسعود: (من كان منكم متأسيا فليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلَّها تكلفاً، وأقومَها هدياً، وأحسنها حالاً. قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[٩٣].

٢) لأنهم الطريق الوحيد للفهم الصحيح للقرآن الكريم، وذلك أن القرآن الكريم طبقه النبي ﷺ ، والذي نقل سيرة النبي ﷺ داخل بيته هم آله (أزواجه وذريته) وخارج بيته هم أصحابه، ولا سبيل إلى معرفة هذا التطبيق النبوي للقرآن الكريم داخل بيت النبي ﷺ وخارجه إلا عن طريق الآل والصحابة رضي الله عنهم أجمعين، واسم الصحبة يشملهم جميعاً، والطاعن فيهم إنما يريد تحريف القرآن الكريم.

٣) لأن علماء الصحابة ﷺ قد اهتموا بمعرفة ما يتعلق بالآية اهتمام التلاميذ النجباء بما يقوله ويصنعه الأستاذ المتمكن، فقد قال عبد الله بن مسعود ﷺ مثلاً: (والذي لا إله إلا هو ما نزلت آية في كتاب الله

(٩٢) أحمد ٣٧٩/١، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني والأرناؤوط.

(٩٣) هما أثران حسنان متقاربان في اللفظ، أما أثر ابن عمر فرواه أبو نعيم في الحلية ٣٠٥/١، وأما أثر ابن مسعود فرواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٩٨/٢.

إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته)[٩٤]، وقد ذكر نحو ذلك عن سيدنا علي ﷺ.

٤) لحديث أبي عبد الرحمن السلمي في كيفية تعلم الصحابة للقرآن الكريم.

٥) التمكن في معرفة اللسان العربي قبل فشو اللحن معرفةً فطريةً لم تشبها شوائب العُجْمة، ولا التفريع كما قال الشاطبي: " فإنهم عربٌ فصحاء لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم"[٩٥].

٦) مشاهدتهم لما نزل فيه الوحي من الوقائع، ومباشرتهم لوضع النبي ﷺ الخطاب القرآني في مواضعه، ومعرفة عادات العرب وأحوالها التي نزل القرآن ليبين علاجها.

مثاله: قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ (النساء:٣) فعن عروة بن الزبير: أنه سأل عائشة رضي الله عنها. قالت: هي اليتيمة في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن يتزوجها بأدنى من سُنّة نسائها، فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء، قالت عائشة: ثم استفتى الناس رسول الله ﷺ بعدُ فأنزل الله عز وجل ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ (النساء:١٢٧). قالت: فبين الله في هذه أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال ورغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها بإكمال الصداق، فإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء. قالت: فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها الأوفى من الصداق ويعطوها حقها[٩٦].

ومن أحسن أمثلة هذا ما جاء عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَتَاهُ رَجُلاَنِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالاَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ ضُيِّعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ وَصَاحِبُ النَّبِيِّ

(٩٤) الطبري ١/ ٦٠.
(٩٥) الموافقات ٣/ ٣٣٨.
(٩٦) البخاري ٣/ ١٠١٦.

ﷺ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ فَقَالَ يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي، فَقَالاَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فَقَالَ قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ الله[٩٧].

المبحث الثاني: مصادر تفسير الصحابة رضي الله عنهم:

قاعدة: مرجع تفسير الصحابة رضي الله عنهم إلى القاعدة التي وضعها ابن تيمية: "والعلم شيئان: إما نقلٌ مصدق، وإما بحثٌ محقق"[٩٨]، فتفسير الصحابة لا يخرج عن هذين الأمرين: النقل وهو الرواية، والعقل (الاجتهاد-البحث).
ويمكن تفصيل ذلك في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: تفسير الصحابي الذي يعود للنقل المصدَّق عن رسول الله ﷺ: يمكن بيانه في النقاط الآتية:

أولاً: المرفوع: أن يصرح الصحابي بنسبة التفسير إلى النبي ﷺ[٩٩] فهذا مرفوع قطعاً: كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق:١٩]: حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ [١٠٠]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه فدخل ذات يوم فقرأ فأتى على هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] فاشتغل وأخذ رداءه ثم أتى أُبيَّ بن كعب فقال: يا أبا المنذر! فتلا هذه الآية وقد ترى أنَّا نظلم ونفعل ونفعل فقال: يا أمير المؤمنين! إن هذا ليس

(٩٧) البخاري ٦/٣٢.
(٩٨) الرد على البكري ٢/٧٢٩.
(٩٩) انظر: قواعد التفسير ١/ ١٦٢.
(١٠٠) البخاري ٤/ ١٨٨٥.

بذاك يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣] إنما ذلك الشرك"[١٠١].

ثانياً: ما له حكم الرفع: أن يفسر الصحابي الآية بما له حكم الرفع: وهو ما تم التأكد من أنه خالٍ من ستة أوصاف: لا يتعلق برأيٍ ارتآه الصحابي، ولا يتعلق باستنباطٍ استنبطه في فهمه للآية، ولا له تعلق ببيان لغةٍ أو شرح غريب[١٠٢]، ولا يتعلق بنقلٍ عن صحابي آخر-إذ يرجع محتملاً -، ولا يتعلق بنقلٍ عن الإسرائيليات، ولا يتعلق بأسباب النزول المحتملة للسببية.

وقد يكون هذا التفسير رأياً في ظاهره لكنه بعد السبْر نجده لا مدخل للرأي فيه: فهذا له حكم المرفوع "لأنه من باب الرواية لا الرأي"[١٠٣]، ومن أمثلته: ما جاء عن أبي هريرة، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قال: ((أمانان مضت إحداهما وبقيت الأخرى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٣))[١٠٤]، ويدل على أن هذا التفسير مرفوع ما ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ لم يكد يركع ثم ركع فلم يكد يرفع، ثم رفع فلم يكد يسجد، ثم سجد فلم يكد يرفع، ثم رفع فلم يكد يسجد ثم سجد، فلم يكد يرفع ثم رفع وفعل في الركعة الأخرى مثل ذلك، ثم نفخ في آخر سجوده فقال: ((أف أف)) ثم قال: ((رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم؟ ألم تعدني ألا تعذبهم وهم يستغفرون))؟ ففرغ رسول الله ﷺ من صلاته وقد أمحصت[١٠٥].

ثالثاً: أن يقول صحابيٌ ((من السنة كذا)): وفي اعتبار هذه اللفظة تدل على الرفع خلاف: فذهب عدد من أهل العلم إلى أنه مرفوعٌ كما قال ابن كثير: " ولا

---

(١٠١) الطبري ٧/ ٢٥٧.
(١٠٢) بلغة الأريب ص١٩٧.
(١٠٣) مسلم ٣/ ١٥٢٢.
(١٠٤) الحاكم ١/ ٧٢٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
(١٠٥) أبو داود ١/ ٣٨٢.

سيما قول ابن عباس تفسيراً للقرآن وهو ترجمانه"[١٠٦]، وهو مذهب البخاري ومسلم كما يقول ابن حجر[١٠٧].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن هذا التعبير لا يدل على الرفع، وهو الظاهر عند الكاتب.

رابعاً: ومما يدخل في المرفوع قول الصحابي: أُحِلَّ لنا، وحُرِّمَ علينا، وأُمِرنا، ونُهينا كما قال ابن حجر: "يحصل الاستدلال بهذه الرواية لأنها في معنى المرفوع"[١٠٨]، وجعله رضي الدين الحنفي من المرفوع الحكمي[١٠٩]، **وعند الكاتب:** في النفس شيء من التقرير؛ إذ ما زال الاحتمال قائماً، فلا بد في هذا والذي قبله من البحث عن قرائن مرجِّحة.

المطلب الثاني: تفسير الصحابي الذي يعود إلى البحث المحقق (الاجتهاد):

ويتعلق به ثلاثة أمور:

الأمر الأول: البحث المحقق (الاجتهاد) في التفسير من الصحابة ﷺ:

جواز الاجتهاد منهم:

يصدر الاجتهاد في التفسير من الصحابة ﷺ بدون نكير، وذلك لأن " النهي عن تفسير القرآن لا يخلو: إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط، أو المراد به أمرا آخر، وباطل أن يكون المراد به ألا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه؛ فإن الصحابة ﷺ قد قرأوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ فإن النبي ﷺ قال: ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))؛ فإن كان التأويل مسموعا

---

(١٠٦) تفسير ابن كثير ١/ ٣١٩.

(١٠٧) صرح بذلك كثيراً في فتح الباري كما في ٣/ ٥٥٣، وعندي ترددٌ في الجزم بذلك؛ إذ إيرادهما لأحاديث من هذا القبيل لا يدل على عموم القاعدة عندهما إلا بتصريح منهما، وذلك مفقود.. غاية ما في الأمر أن يكونا جعلا الأحاديث التي ورد فيها مثل ذلك من قبيل المرفوع لا كل ما ورد فيه النسبة المذكورة.

(١٠٨) تلخيص الحبير ١/ ٢٦.

(١٠٩) قفو الأثر ١/ ٩٢.

كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك!"[١١٠]، ويؤكد هذا حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي ﷺ : هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسَمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر[١١١].

حالات اجتهاد الصحابة ﷺ في عصر الرسول ﷺ :[١١٢] هما حالتان:

الحالة الأولى: أن يُقِرّ الرسول ﷺ اجتهادهم، ومن ذلك:

١) ما جاء عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلاسِلِ فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الاغْتِسَالِ. وَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ (النساء:٢٩) فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا[١١٣].

٢) ما رواه الطبري عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: (تلا رسول الله يوماً ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ (محمد: ٢٤)، فقال شابٌ من أهل اليمن: بل عليها أقفالها، حتى يكون الله (عز وجل) يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر ﷺ حتى وُلّيَ فاستعان به)[١١٤].

الحالة الثانية: أن يُصَحّح الرسول ﷺ فهمهم للآية:

---

(١١٠) تفسير القرطبي ١/ ٦٦.

(١١١) البخاري ٣/ ١١١٠.

(١١٢) انظر: مصادر التفسير للدكتور مساعد الطيار، بحث منشور في شبكة التفسير والدراسات الإسلامية.

(١١٣) أبو داود ٤٠٩/١.

(١١٤) الطبري ١٨٠/٢٢.

١) كحديث عائشة في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ (الانشقاق:٨)، وحديث حفصة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾(مريم:٧١)[١١٥] حيث صحح لكليهما فهمها في الآية.

الأمر الثاني: حجية اجتهاد الصحابي في تفسير الآية إذا لم يكن مرفوعاً أو أقره النبي ﷺ :

هو في حجيته (رأيٌ)، ويمكن تفصيل حجيته إلى الآتي:
١) إذا اتفق الصحابة في هذا الاجتهاد: يكون حجةً لأنه إجماعٌ كما قال ابن عاشور: " كإجماعهم على أن المراد من الأخ والأخت في آية الكلالة الأولى من الأم، وأن المراد من الصلاة في سورة الجمعة هي صلاة الجمعة"[١١٦].
٢) اختلافهم في التفسير: فلا يكون قولُ أحدهم حجةً على الآخر، كما قال ابن تيمية[١١٧].

ومن الأمثلة التطبيقية على اختلاف الصحابة ﷺ في التفسير، وردِّ بعضهم على بعض مما يدل على عدم حجية تفسيرهم: ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ ﴾ (يوسف:١١٠) فعن ابن أبي مليكة قال: قرأ ابن عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ ﴾ -أي بالتخفيف- فقال: كانوا بشرا ضعفوا ويئسوا (أي كادوا فيكون معنى الآية: كادوا أن ييأسوا من أن يؤمن قومهم بهم...). قال ابن أبي مليكة: فذكرت ذلك لعروة فقال: قالت عائشة: معاذ الله! ما حدث الله ورسوله شيئا قط إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى ظن الأنبياء أن من تبعهم قد كذبوهم فكانت تقرؤها: قد كُذّبوا تثقّلها، وعند البخاري عن عروة بن الزبير: أنه سأل عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أرأيت قوله

(١١٥) صحيح مسلم ٤ /١٩٤٢.
(١١٦) التحرير والتنوير ١/ ١٠.
(١١٧) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٤.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ ﴾. أو كذِّبوا؟ قالت: بل كذبهم قومهم. فقلت: والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم وما هو بالظن. فقالت: يا عُرَيَّة! لقد استيقنوا بذلك. قلت: فلعلها أو كذبوا. قالت: معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها. وأما هذه الآية قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى إذا استيأست ممن كذبهم من قومهم وظنوا أن أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله(١١٨)، وكلمة (أتباعهم) في تفسير عائشة يحتمل أن يكون أمة الإجابة (المؤمنون) أو أمة الدعوة (الكفار) كما في المصدر المذكور، ولكن ابن عباس هنا يفسرها على قراءة التخفيف، وعائشة تأبى وتلزم قراءة التثقيل التي ورد عن ابن عباسٍ في تفسيرها ما ذكرته عائشة فحبر القرآن يفسر القراءتين معاً، وعند الباحث فإن ما ذكره ابن عباسٍ له وجهٌ صحيح قوي إذ المراد أن الرسل ظنوا أنهم قد كذبوا في وعد الله لهم بسبب خللٍ في دعوتهم، وتقصيرٍ في تبليغهم كما في قول النبي ﷺ : ((إن لم يكن بك عَلَيَّ غضبٌ فلا أبالي))(١١٩)، أو ظنوا أنهم قد كُذِبوا أي تطرق شيء من الوسواس إليهم وهو الذي يتحول إلى هم يجول في النفس يلقيه الشيطان ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ [الحج:٥٢] ولا يتعارض هذا مع مقام النبوة فإن هذا أشبه بقوله تعالى: ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ [يوسف:٢٤] عن يوسف عليه السلام ، وبقوله تعالى ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:٩-١١] ولبحث المسألة مقامٌ آخر، ونلحظ هنا أن ابن عباس استنبط تفسيره من القرآن الكريم، ولكنه استنباطٌ شخصيٌّ يمكن الرد عليه كما فعلت عائشة رضي الله عنها.

□

(١١٨) تفسير الطبري ٧/ ٣١٦، ورواية البخاري أوردها في عدة مواضع منها في ٤/ ١٦٤٤.
(١١٩) انظر: مجمع الزوائد ٦/٣٧.

الأمر الثالث: مصدر الاجتهاد:

قد يكون اجتهادُ الصحابي عائداً إلى التالي:

١) استنباطه ذلك من النص القرآني أو النبوي بفهمه الشخصي لهما:

وإعمال أدوات الاجتهاد الأخرى كحادثة عمرو بن العاص عندما تيمم ولم يغتسل، ومن الأمثلة كذلك ما رواه عبيد بن عمير قال: قال عمر ﷺ يوما لأصحاب النبي ﷺ فيم ترون هذه الآية نزلت ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ [البقرة:٢٦٦]؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا أخي قل ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل. قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجلٍ غنيٍ يعمل بطاعة الله عز وجل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله(١٢٠).

٢) نقل ذلك من صحابي آخر:

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم:٤]. فحججت معه فعدل وعدلت معه بالإداوة فتبرز حتى جاء فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عز وجل لهما ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾. فقال: واعجبي لك يا ابن عباس عائشة وحفصة... الحديث(١٢١).

٣) من اللغة العربية ودلالات الألفاظ:

(١٢٠) البخاري ٤/ ١٦٥٠.
(١٢١) البخاري ٢/ ٨٧١.

وأبرز أمثلته سؤالات نافع بن الأزرق، وكذلك ما رواه ابن عباس قال: ما كنت أدري ما قوله ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف:٨٩] حتى سمعت بنت ذي يزن تقول: تعال أفاتحك[١٢٢] تعني أقاضيك.

٤) **من النقل عن أهل الكتاب، وقاعدة النقل عنهم: تصديقهم فيما صدقهم شرعنا، وتكذيبهم فيما كذبهم، والوقف فيما لم يكن كذلك.**

قاعدة: ينبغي التأكد من عدم الإدراج في الحديث المرفوع حتى يُسَلَّم التفسير الذي تضمنه:

إذ قد يدرج الصحابي معنى في الحديث المرفوع فيظن أنه منه، مع أنه ظاهر أنه ليس من قول النبي ﷺ أو هو محتمل، ومن أشهر ما يدل على ذلك الخلاف في تفسير صلاة الوسطى، فقد قيل: إنها الظهر لأنها تفعل في وسط النهار، وقيل هي العصر لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل، وقيل هي المغرب لأنها وسط في الطول والقصر، وقيل هي صلاة العشاء لأنها بين صلاتين لا تقصران، وقيل هي الفجر لأنها بين صلاتي الليل والنهار ولأنها صلاة لا تجمع مع غيرها فهي منفردة بين مجتمعين، وقيل: المراد بها صلاة الوتر، والأكثرون صححوا أنها صلاة العصر لما أخرج مسلم عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: ((شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا))[١٢٣] وهذا يحتمل أن يكون الحديث من الرأي الذي أدرجه الصحابي في وجهة نظر من عارض رأيه كما بيّن الألوسي.

(١٢٢) مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٢٨٠، الطبري ٦/ ٣.
(١٢٣) مسلم ١/ ٤٣٦.

المبحث الثالث: صور تفسير الصحابة ﷺ للقرآن الكريم:

هي الصور العامة التي يجري فيها التفسير من تخصيص العام، وتقييد المطلق، وإيضاح المبهم، وبيان أسباب النزول، **ومن أمثلته:** عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى:﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾(البقرة:١٨٤) قالت: نزلت فعدة من أيام أخر متتابعات فسقطت متتابعات[١٢٤]، أي أنها لا تأخذ حكم المتلو بل هي: إما من فهم عائشة وتقييدها للمطلق في الآية، وإما سمعتها من النبي ﷺ تفسيراً لا تلاوةً أو غير ذلك، وعن أُبيّ بن كعب ﷺ : في قوله ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ (السجدة:٢١) قال: مصائب الدنيا والروم والبطشة أو الدخان[١٢٥]فأوضح الإبهام في الآية.

(١٢٤) سنن الدارقطني ٢/ ١٩٢.
(١٢٥) صحيح مسلم ٤/ ٢١٥٧.

المصدر الرابع:

(اللغة) تفسير القرآن باللغة العربية

المبحث الأول: سبب جعل اللغة مصدراً للتفسير

قاعدة: اللغة العربية مصدرٌ للتفسير لأن القرآن نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين:

كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأحقاف:١٢)، وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر:٢٧-٢٨)، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ (الشورى:٧).

وعن ابن أبي مليكة قال: قدم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب ﷺ فقال: من يقرئني مما أنزل على محمد ﷺ ؟ قال: فأقرأه رجل براءة فقال: أن الله بريء من المشركين ورسوله بالجر. فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ فإن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه. فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ﷺ ؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن. فسألت من يقرئني فأقرأني هذا سورة براءة فقال: أن الله بريء من المشركين ورسوله فقلت: أو قد بريء الله من رسوله إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه. فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾(براءة:٣). فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برىء الله ورسوله منه. فأمر عمر بن الخطاب ﷺ ألا لا يقرئ الناس إلا عالم باللغة [١٢٦]، وقيل أمر عمر ﷺ أبا الأسود فوضع النحو، وقيل الآمر علي ﷺ.

(١٢٦) الأثر: أسنده في تاريخ دمشق ٢٥/ ١٩٢، وذكره صاحب كنز العمال ٢/ ٤٤٧ وعزاه إلى ابن الأنباري في الوقف والابتداء، ونقله القرطبي في تفسيره ١/ ٥٦.

ولما رأى الشوكانيُّ مُفسِّراً كالسدي حَمَل بعض كلمات الكتاب العزيز على غير ما تحتمله اللغة عقَّب عليه بكليةٍ نافعةٍ في هذا الباب، ففي تفسير الأمانة المذكورة في (سورة الأحزاب:٧٢) نقل الشوكاني رأي السدي بأنَّ الأمانة: هي ائتمان آدم ابنه قابيل على ولده هابيل وخيانته إياه في قتله، ثم نقده نقداً لاذعاً بقوله: "وما أبعد هذا القول. وليت شعري ما هو الذي سوَّغ للسدي تفسير هذه الآية بهذا؟ فإن كان ذلك لدليلٍ دلَّه على ذلك فلا دليل، وإن كان تفسير هذا عملاً بما تقتضيه اللغة العربية فليس في لغة العرب ما يقتضي هذا"(١٢٧).

وقد ذكر أن ابن الراوندى -وكان يُزَنُّ بالإلحاد- قال لابن الأعرابي: أتقول العرب لباس التقوى؟ فقال ابن الأعرابي: لا باس لا باس، وإذا أنجى الله الناس فلا نجى ذلك الرأس. هبك يا ابن الرواندي تنكر أن يكون محمدٌ نبياً أفتنكر أن يكون فصيحاً عربياً؟(١٢٨).

قاعدة: أنزل الله القرآن الكريم بلسانٍ عربيٍّ مبين: ليعقله المخاطَبون، فيستبين لهم ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتذكرون، وجعله اللهُ مُيَسَّراً ليُبَشَّر به المتقون ويُنذر غيرهم فيحذرون.

نَـزَلَ سَـهْلاً عَرَبِـيَّ المَبْنَـى ... لِـيَفْهَم الْمُخـاطَبونَ الْمَعْنَـى

ويَسْـتَبينَ لَهُـمُ الـذِي نَـزَلْ ... مُيَسَّـراً للـذِّكْر بَعْـدَمَا عُقِـلْ

مُبَشِّـراً للمُتَّقِـينَ مُنْـذِرَا ... لِلْغَيْرِ ممَّنْ قدْ عَصَى أوْ كَفَرَا

المبحث الثاني: ما هو المراد من علم العربية في أصول التفسير؟:

المراد من علم العربية: "معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم أم حصلت بالتلقي، [أو بـ]التعلم كالمعرفة الحاصلة

(١٢٧) فتح القدير ٤/ ٤٣٧.
(١٢٨) التحرير والتنوير ١/ ٩.

للمولدين الذين شافهوا بقية العرب ومارسوهم والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها"[١٢٩]، وذلك لأن "القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم"[١٣٠]، ومن لطائف التفسير جرياً على أساليب العرب أن بعضهم فكر في قوله تعالى ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (آل عمران:٥٤) فلقي سمنون[١٣١] فسأله عنها فتأوه وأنشأ يقول:

ويقبح من سواك الفعل عندي فتفعله فيحسن منك ذاكا

فقال السائل: يا سمنون سألتك عن آية في كتاب الله فأجبتني ببيت من الشعر! فقال له سمنون: أنشدته لتعلم أن في أقلِّ قليلٍ أدلَّ دليل. ثم قال له: يا هذا إمهاله لهم مع مكرهم مكرٌ بهم. ولذا قال في موضع آخر ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (النمل:٥٠-٥١)[١٣٢].

أهمية معرفة الفروق اللغوية الدقيقة:

قاعدة: معرفة الفروق اللغوية الدقيقة تقي من المزالق العميقة.

كما وقع لجماعةٍ من الكبار فروى الخطابيُّ عن أبي العالية أنه سُئل عن معنى قوله ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (الماعون:٥) فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر. قال الحسن: مه يا أبا العالية! ليس هكذا بل الذين سهوا عن ميقاتها حتى تفوتهم. ألا ترى قوله ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾. فلما لم يتدبر أبو العالية الفرق بين حرفي (في وعن) تنبه له الحسن، وقال ابن قتيبة في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ (الزخرف:٣٦) أنه

(١٢٩) التحرير والتنوير ١/ ٦.
(١٣٠) التحرير والتنوير ١/ ٧.
(١٣١) لعله سمنون بن حمزة.
(١٣٢) حز الغلاصم ص ٣٩.

من عشوت أعشو عشوا إذا نظرت. وغلطوه في ذلك وإنما معناه: يعرض. وإنما غلط لأنه لم يفرّق بين عشوت إلى الشيء، وعشوت عنه(١٣٣).

المبحث الثالث: من القواعد التفسيرية في هذا المصدر:

قاعدة: كل ما خرج عن مقتضى الظاهر لغة فلا بد له من سبب:

وخارجٌ عن مقْتَضى الظّاهِرِ لاَ ... بُدَّ لـه مِنْ سَببٍ قدْ حَصَلا

مثاله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة: ٢] لا هنا للنفي فهو خبر ولكن معناه النهي عند بعض المفسرين، أي لا ترتابوا فيه فخرج عن مقتضى ظاهر النفي إلى النهي.

وقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ﴾ [البقرة:١٧٨] ظاهره اللغوي وجوب القصاص حتماً، مع إجماع المسلمين أن القصاص ليس بواجبٍ فللولي العفو، والجواب: يحتمل معنى الآية عدة احتمالات تخرجها عن الظاهر اللغوي المباشر: منها أن المراد من الآية: فرض علينا عدم تجاوز القتيل إلى غيره في القصاص، فليس المراد بالفرض الجملة الأولى منها بل الأولى مع الثانية، فالحر إذا قتل الحر فدم القاتل كفء لدم القتيل، والقصاص منه دون غيره من الناس فلا تجاوزوا بالقتل إلى غيره ممن لم يقتل فإنه حرام عليكم أن تقتلوا بقتيلكم غير قاتله، والفرض الذي فرض الله علينا في القصاص هو ترك المجاوزة بالقصاص قتل القاتل بقتيله إلى غيره لا أنه وجب علينا القصاص فرضاً وجوب فرض الصلاة والصيام حتى لا يكون لنا تركه، والدليل الذي أخرج الظاهر اللغوي إلى التأويل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة:١٧٨](١٣٤).

(١٣٣) البرهان في علوم القرآن ٢٩٤/١.
(١٣٤) تفسير الطبري ٢/ ١٠٧.

قاعدة: توجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من اللغات أولى من توجيهه إلى الأنكر (الأغرب أو الأبعد) ما وُجد إلى ذلك سبيل[١٣٥].

قاعدة مقابلة: قد يوجد في القرآن الكريم ما يُفَسَّرُ على المعنى القليل من لغة العرب:

تَوْجِيهُنَا القُرْآنَ نَحْوَ الأَشْهَرِ ... أَوْلَى مِنَ التَّوْجِيهِ نَحْوِ الأَنْكَرِ
مِنَ اللُّغَاتِ، فَاجْتِنَابُ الأَغْرَبِ ... وَشِبْهِهِ أَحْرَى بِذِكْرٍ عَرَبِي
وَقَدْ يُرى فِي الذِّكر مَا قَدْ فُسِّرَا ... مِنْ لُغَةِ العُرْب عَلَى مَا نَدَرَا

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ (الأحزاب:٧٢) فكلمة السموات تحمل على الأشهر في اللغة، لا على الأقل وهو السقف.

ولكن قوله (عرضنا ... فأبين أن يحملنها) مستشكلٌ؛ إذ كيف تأبى السموات والأرض شيئاً طلبه الله وهما قد قالتا: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١]، ثم إذا كانت الأمانة تتضمن التوحيد فمن المعلوم أن تسبيح السموات والأرض أعظم من تسبيح بني آدم من حيث العدد والخضوع؟ حتى قال الطاهر بن عاشور في بيان الإشكال الذي تثيره الآية: "وقد عُدِّت هذه الآية من مشكلات القرآن وتردد المفسرون في تأويلها تردداً دل على الحيرة في تقويم معناها"[١٣٦]، **وفي جواب حل هذا الإشكال قيل:**

١) معنى العرض الإظهار، والمعنى إنا عرضنا الأمانة وتضييعها على أهل السموات وأهل الأرض من الملائكة والإنس والجن ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ أي أن يحملن وزرها كما قال جل وعز:

(١٣٥) تفسير الطبري ٢/٦٢٠.
(١٣٦) التحرير والتنوير ٢١/ ٣٤٠٥.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت :١٣] ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ قال الحسن: المراد الكافر والمنافق ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه ﴿جَهُولًا﴾ بربه.

٢) وقيل بل الأمر حقيقة أنه عرض على السموات والأرض والجبال الأمانة وتضييعها وهي الثواب والعقاب أي أظهر لهن ذلك فلم يحملن وزرها، وأشفقت وقالت: لا أبتغي ثواباً ولا عقابا، وكلٌ يقول: هذا أمر لا نطيقه، ونحن لك سامعون ومطيعون فيما أُمرنا به وسخرنا له...وهذا العرض عرض تخييرٍ لا إلزام والعرض على الإنسان إلزام.

٣) وقال القفال وغيره: العرض في هذه الآية ضرب مثلٍ أي أن السموات والأرض على كبر أجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع كقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ ثم قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الحشر:٢١].

ومن الأقوال الوجيهة في تأويلها أن **معنى حملها خانها كما قال الزمخشري:** "من قولك: فلان حامل للأمانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها؛ لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون: ركبته الديون، ولي عليه حق، فإذا أداها لم تبق راكبةً له ولا هو حاملاً لها، فمعنى فَأَبَيْنَ أن يحملنها وحملها الإنسان فَأَبَيْنَ إلا أن يؤدينها (فَأَبَيْنَ أن يخنها) وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملا لها لا يؤديها"[١٣٧].

قاعدة: القرآن حمال وجوه فما احتمله جاز به التفسير، لا ما حُمِّله:

فإذا كانت الآية محتملةً لأقوالٍ متعددةٍ وجيهةٍ حُملت عليها، **واحتمالها لذلك إما بتعابيرها وكلماتها وإما لورود عدة قراءاتٍ ثابتةٍ في الآية تتضمن تعابير لغوية**[١٣٨].

(١٣٧) الكشاف ٣/ ١٠١١ ونقله النسفي على تقصير. انظر: تفسير النسفي ٣/ ٣١٧.
(١٣٨) انظر: التحرير والتنوير ١/ ٥١.

ولذا قال سفيان بن عيينة: ليس في تفسير القرآن اختلافٌ إذا صح القول في ذلك، وقال: أيكون شيء أظهر خلافا في الظاهر من الخُنَّس؟ قال عبد الله بن مسعود: هي بقر الوحش، وقال علي: هي النجوم. قال سفيان: وكلاهما واحد ؛ لأن النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل، والوحشية إذا رأت إنسياً خنست في الغيطان وغيرها، وإذا لم تر إنسياً ظهرت، قال سفيان: فكل خنس[١٣٩].

قاعدة: الأصل الجمع بين المعاني التي تحتملها الآية[١٤٠]:

وأشار الطبري إلى ذلك فقال: "والكلمة إذا احتملت وجوهاً لم يكن لأحدٍ صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض إلا بحجةٍ يجب التسليم لها"[١٤١]، ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ (الأنبياء:٣٠) فقد اختلف "أهل التأويل في معنى وصف الله السماوات والأرض بالرتق وكيف كان الرتق وبأي معنى فتق"[١٤٢] وذكروا فيها أربعة تأويل:

١) ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾: ليس فيهما ثقب بل كانتا ملتصقتين، وقوله ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ فصدعناهما وفرجناهما[١٤٣] عنى بذلك أنهما كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء، فرفع السماء ووضع الأرض... ورد هذا المعنى عن ابن عباس والحسن وقتادة.

٢) وقيل المعنى: مرتتقة طبقة ففتقها الله فجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة ففتقها فجعلها سبع أرضين، ورد هذا المعنى عن مجاهد وقال: ولم تكن الأرض

---

(١٣٩) السنة لمحمد بن نصر المروزي ص٢.
(١٤٠) التحرير والتنوير 1/ ٥٦.
(١٤١) تفسير الطبري ١/ ١٧١.
(١٤٢) تفسير الطبري ٩/ ١٩.
(١٤٣) تفسير الطبري ٩/ ١٩.

والسماء متماستين... فقد نفى مع أنه لا يوجد في الآية ما ينفي ما ذكره.

٣) وقيل: بل عني بذلك أن السماوات كانت رتقا لا تمطر، والأرض كذلك رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات... ورد هذا المعنى عن عكرمة قال: وهو قوله ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ (الطارق: ١١ – ١٢).

٤) ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَا﴾ لأن الليل كان قبل النهار ففتق النهار[١٤٤].

وبعد أن ذكر الطبري هذه المعاني الأربعة رجح الثالث، مع أن المعاني الأربعة كلها داخلة محتملة.

(١٤٤) تفسير الطبري ٩/ ١٩.

المصدر الخامس:

(الرأي) تفسير القرآن بالاجتهاد المقبول والرأي السائغ

يصح الاجتهاد في التفسير وفق ثلاثة أركان: التزام: اللغة العربية، ومقاصد الشرع الكلية، ونصوصه الأخرى الجزئية:

"وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))، وهو الذي عناه علي ﷺ بقوله: إلا فهماً يؤتاه الرجل في القرآن، ومن هنا اختلف الصحابة ﷺ في معنى الآية فأخذ كلٌ برأيه على منتهى نظره"(١٤٥).

مشروعية التفسير بالرأي (بالاجتهاد):

اختلف العلماء في جواز التفسير بالرأي:

أدلة المانعين:

الدليل الأول: النهي عن الظن فقد قالوا: التفسير بالرأي قولٌ على الله بغير علم لأنه مبنيٌ على الظن، وذلك منهيٌ عنه فالتفسير بالرأي منهيٌ عنه:

كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ .. .وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف:٣٣).

وأجيب عن هذا: بأن القائل بالظن قد بذل طاقته ووسعه في العلم ما دام ظنه قام على أسس الاجتهاد الصحيحة فلا حرج عليه كما قال تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ

(١٤٥) البرهان ١/ ١٦١.

﴿نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦) وكما قال ﷺ: ((إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ))[١٤٦].

الدليل الثاني: أحاديث ذم الرأي في تفسير القرآن، ومنها:

١) حديث ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: ((اتقوا الحديث عنّي إلا ما عُلِّمتم، فمن كذب علَيَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار))[١٤٧]، وفي رواية: ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار))[١٤٨].

٢) حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ"[١٤٩].

وقد أجيب عن هذين الحديثين في حال صحتهما بأجوبةٍ متعددةٍ منها:

الأول: معناه أن يقول برأيه في نحو مشكل القرآن ومتشابهه مما لا يعلم إلا من طريق النقل عن الوحي المعصوم (القرآن والسنة الصحيحة)[١٥٠].

الثاني: أن يكون المعنى ذم من قال في القرآن لفظه أو معناه دون الرجوع إلى أركان الاجتهاد[١٥١].

الثالث: "أنهما محمولان على من قال في القرآن قولاً وهو يعلم أن الحق خلافه كأصحاب المذاهب الفاسدة الذين يتأولون القرآن على وفق هواهم ليحتجوا به على صحة آرائهم"[١٥٢].

---

(١٤٦) البخاري ٢٢/٣٣٥، مسلم ٥/١٣١.

(١٤٧) الترمذي ٥/ ١٩٩، وفي عون المعبود ١٠/ ٦٢: "قال المنذري والحديث أخرجه الترمذي والنسائي وقال الترمذي هذا حديث غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل بن أبي حزم"، والحديث متكلم فيه، وله محامل حال صحته.

(١٤٨) سنن الترمذي ٥/ ١٩٩ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(١٤٩) أبو داود ٢/ ٣٤٤، الترمذي ٥/ ٢٠٠.

(١٥٠) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٤١.

(١٥١) عون المعبود ١٠/٦١.

الدليل الثالث: الأحاديث والآثار في ذم الرأي مطلقاً، وهي كثيرة، ومنها:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((إن الله لا ينتزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناسٌ جهالٌ يُستفتون فيُفتون برأيهم فيَضِلُّون ويُضِلُّون)).

الدليل الرابع: الآثار الواردة عن الصحابة ﷺ والتابعين الدالة على تحرجهم عن الخوض في التفسير عموماً والتفسير بالرأي خصوصاً:

فقد جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن فقال: أُحَرِّج عليك إن كنت مسلماً إلا ما قمت عني أو قال أن تجالسني، وعن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آيةٍ من القرآن قال: إنا لا نقول في القرآن شيئا، وكان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن، وسأله رجل عن آية فقال: لا تسألني عن القرآن وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء يعني عكرمة[١٥٣].

والجواب عن ذلك: هو ذاته ما سبق من الأجوبة، وخلاصة هذه الأجوبة: ذم من تكلم برأيٍ مجرَّدٍ عن استنادٍ إلى أصل، وذم من أفتى مع الجهل، ولذلك وصفهم بالضلال والإضلال وإلا فقد مدح من اعتمد على أركان الاجتهاد في رأيه.

ولذا كتب عمر ﷺ إلى شريح: انظر ما تبين لك من كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً، فإن لم يتبين لك من كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله ﷺ، وما لم يتبين لك من السنة فاجتهد فيه رأيك، وفي رواية: اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن فبما في سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يكن فبما قضى به الصالحون، فإن لم يكن فإن شئت فتقدم[١٥٤]، وورد قولهم بالرأي وتصريحهم به في قضايا أخرى: فأبو بكر ﷺ يقول في مسألة الكلالة: (أقول فيها برأيي فإن كان صوابا)[١٥٥]،

---

(١٥٢) انظر: مناهل العرفان٢/ ٤١، وقبل ذلك قال المناوي نحوه في فيض القدير ٦/ ١٩٠.

(١٥٣) انظر هذه الآثار وغيرها وتخريجها في: مقدمة في أصول التفسير ص١٠٢، تفسير ابن كثير ١/ ٦.

(١٥٤) فتح الباري ٢٨٧/١٣.

(١٥٥) الدارمي ٢/ ٤٦٢.

ومثله ابن مسعود ﷺ يقول عن اجتهاده في قضية: (سأقول فيها بجهد رأيي فإن كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له وإن كان خطأ فمني والله ورسوله منه بريء)[١٥٦].

مجمل أدلة المجيزين للتفسير بالرأي بضوابطه:

الدليل الأول: آيات التدبر الواردة في القرآن الكريم وهي كثيرة، ومنها: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (القتال:٢٤) ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (ص:٢٩)، والتدبر يوصل إلى التفهم،" والتفهم أن يستوضح من كل آيةٍ ما يليق بها لينكشف له من الأسرار معانٍ مكنونةٌ لا تتكشف إلا للموفقين"[١٥٧].

الدليل الثاني: الآيات والأحاديث التي ميزت أهل الفهم، والمستنبطين عن غيرهم: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ (النساء:٨٣)، وكحديث ابن عباس (اللهم فقه...)، وحديث أبي جحيفة: (إلا فهماً...).

النتيجة: الجمع بين كلام المجيزين والمانعين:

يظهر من خلال العرض السابق أن الخلاف أشبه أن يكون لفظيا "بأن يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي على التفسير بالرأي المستوفي لشروطه فإنه يكون حينئذ موافقا لكتاب الله وسنة رسوله وكلام العرب، وهذا جائز ليس بمذموم ولا منهي عنه، ثم يحمل كلام المانعين للتفسير بالرأي على ما فقدت شروطه السابقة فإنه يكون حينئذ مخالفاً للأدلة الشرعية واللغة العربية، وهذا غير جائزٍ بل هو مَحَطُّ النهي ومَصَبُّ الذم، وعليه يحمل كلام ابن مسعود في قوله: (ستجدون أقواما يدعونكم إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع، وإياكم والتنطع)، وقول عمر ﷺ أيضا: (إنما أخاف عليكم رجلين: رجلاً يتأول القرآن على غير تأويله، ورجلا ينافس الملك على

(١٥٦) الموطأ ٢/ ٤٦٠، النسائي ٦/ ١٢٢، ورواه الحاكم ٢/ ١٩٦، وصححه ووافقه الذهبي.
(١٥٧) إحياء علوم الدين ٢٨٣/١.

أخيه)، وقول عمر أيضا: (ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا من فاسقٍ بَيِّنٍ فسقه، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه، ثم تأوله على غير تأويله)"[١٥٨].

وقال الطاهر بن عاشور: " وهل اتسعت التفاسير وتفننت مستنبطات معاني القرآن إلا بما رُزِقه الذين أوتوا العلم من فهمٍ في كتاب الله؟، وهل يتحقق قول علمائنا: (إن القرآن لا تنقضي عجائبه) إلا بازدياد المعاني باتساع التفسير؟ ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصراً في ورقات قليلة، وهل استنباط الأحكام التشريعية من القرآن في خلال القرون الثلاثة الأولى من قرون الإسلام إلا من قبيل التفسير لآيات القرآن بما لم يسبق تفسيرها به قبل ذلك؟ وهذا الإمام الشافعي يقول: تطلبت دليلاً على حجية الإجماع فظفرت به في قوله تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥]"[١٥٩].

قاعدة: "لا يستقيم الحديث إلا بالرأي، ولا يستقيم الرأي إلا بالحديث"[١٦٠].

نماذج للخطأ في التفسير بالرأي:

يمكن تقسيم الذين يحرفون القرآن بآرائهم إلى الآتي:

أولاً: قومٌ من أهل البدع سلبوا لفظ القرآن ما دل عليه وأُريد به مثل: قول بعض المبتدعة: إن معنى قوله تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ ﴾ [التحريم: ١٠] ينطبق على عائشة وحفصة رضي الله عنهما، وقول بعضهم: لا تتعلق الشريعة بالحكم ومنعوا ذلك مع قوله تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[المائدة: ٤٨].

---

(١٥٨) مناهل العرفان ٢/ ٤٣.

(١٥٩) التحرير والتنوير ١/ ١٢.

(١٦٠) أصول البزدوي ص٥، وقد نقل هذه القاعدة عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني في كتابه "أدب القاضي".

ثانياً: من حمَّل الدليل ما لم يحتمل لموافقة الهوى.

ثالثاً: من أدرج بدعته وهواه في أثناء تفسيره تدليساً وتلبيساً: "ومن هؤلاء من يدس البدع والتفاسير الباطلة في كلامهم الجزل"(١٦١)، ولعل التحذير من إدراج البدع في التفاسير تقتضي الإنصاف وعدم وسم المخالف بالبدعية لأول وهلةٍ والمبالغة في إساءة الظن...

وأبرز من يفسر القرآن برأيه المذموم من الطوائف المتلاعبة: طائفةٌ التزمت تفسير القرآن بما يوافق هواها، وصرفوا ألفاظ القرآن عن ظواهرها بما سموه الباطن الذي يوافق هواهم، وزعموا أن القرآن إنما نزل متضمناً لكناياتٍ ورموز.

رابعاً: تحميل معاني الآيات معانٍ صحيحة مع أنها لا تحتملها: ويدخل في ذلك بعض ما يورده أصحاب التفسير الإشاري: ومن أمثلة ذلك قول القشيري في قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ (البقرة:١١٤) "الإشارة فيه أن الظالم مَنْ خَرَّبَ أوطان العبادة بالشهوات، وأوطان العبادة نفوس العابدين. وخَرّبَ أوطان المعرفة بالمُنى والعلاقات، وأوطان المعرفة قلوب العارفين. وخَرَّب أوطان المحبة بالحظوظ والمُسَاكنات، وهي أرواح الواجدين. وخرَّب أوطان المشاهدات بالالتفات إلى القربات وهي أسرار الموحدين"(١٦٢).

وتفاوت أهل العلم في قبول ذلك: **فالطاهر بن عاشور**: يقبل ذلك لا على أنه تفسير(١٦٣).

وقد يقبل هذا الرأي في النوع الأول ولا تظهر صحته في النوع الثاني "وسئل البلقيني عمن فسر بهذا؟ فأفتى بأنه ملحد(١٦٤)، وللشاطبي تفصيل قريب

---

(١٦١) تحفة الأحوذي ٨/ ٢٢٤.

(١٦٢) تفسير القشيري ١/ ١١٠، والمعنى الذي مال إليه القشيري كتفسير إشاري موجودٌ -تقريباً- في قوله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢]، ولكن ليس في الآية التي فسرها أولاً.

(١٦٣) التحرير والتنوير ١/ ١٦.

(١٦٤) كشف الظنون ١/ ٤٢٧، أبجد العلوم ٢/ ١٨٢.

من هذا[١٦٥]، وأما **ابن العربي في كتاب العواصم** فيرى إبطال هذه الإشارات كلها لأنه تقضي على المعنى الأصلي[١٦٦].

حديث الظهر والبطن للقرآن:

نص الحديث: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرفٍ منها ظهرٌ وبطن، ولكل حرفٍ حدٌّ ولكل حدٍ مطلع)).

تخريج الحديث: أخرجه الطبري ١/ ٣٥، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٩/ ٨٠، وصحح إسناده محققه حسين سليم أسد ٩/ ٨٠، وفي صحيح ابن حبان ١/ ٢٧٦ ورد بدون الجملة الأخيرة، وحسَّن إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط، وصحح إسناده في التعليق على مسند أحمد بن حنبل ١/ ٤٤٥، ولكن أورده الألباني في الضعيفة ٦/ ٤٩١.

المعنى في حال الثبوت: ذكرت عدة أقوال في معنى هذه الألفاظ الأربعة:

الظهر والبطن:

١) الظهر: التلاوة أي اللفظ والرواية، والبطن الفهم والدراية أي المعنى[١٦٧].

٢) وقيل: ظهره ما ظهر تأويله وعُرِف معناه، وبطنه ما خفي تفسيره وأشكل فحواه.

٣) وقيل: ظهره ما استوى المكلفون فيه من الإيمان والعمل بمقتضاه، وبطنه ما وقع التفاوت في فهمه بين العباد على حسب مراتبهم في الأفهام والعقول وتباين منازلهم في المعارف والعلوم.

وقيل غير ذلك.

---

(١٦٥) الموافقات ٣/٤٠٤.

(١٦٦) العواصم من القواصم ص٢٣٠.

(١٦٧) انظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٥٤، فيض القدير ٣/ ٥٤، تاج العروس ١/ ٣١٣٤، النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٦٤، غريب الحديث لابن سلام ٢/ ١٣.

ومن الأحاديث التي تذكر هنا ما ورد أن النبي ﷺ قال: ((القرآن ذلولٌ ذو وجوهٍ محتملةٍ فاحملوه على أحسن وجوهه))[١٦٨]، والمراد إن صح أنه يمكن أن تحتمل الآية عدة معانٍ.

ونستمع هنا إلى كلمة جامعة لابن حزم في هذين الحديثين: "هذه كلها مُرْسلات لا تقوم بها حجةٌ أصلاً، ولو صحت لما كان لهم في شيء منها حجةٌ بوجهٍ من الوجوه؛ لأنه لو كان كما ذكروا لكل آيةٍ ظهرٌ وبطنٌ لكنا لا سبيل لنا إلى علم البطن منها بظنٍ ولا بقول قائلٍ لكن ببيان النبي ﷺ الذي أمره الله تعالى بأن يبين للناس ما نزل إليهم، فإن أوجدونا بيانا عن النبي ﷺ بنقل الآية عن ظاهرها إلى باطنٍ ما صرنا إليه طائعين، وإن لم يوجدونا بياناً عن النبي ﷺ فليس أحدٌ أولى بالتأويل في باطن ما تحتمله تلك الآية من آخر من تأول أيضاً، ومن الباطل المحال أن يكون للآية باطنٌ لا يبيّنه النبي ﷺ لأنه كان يكون حينئذٍ لم يبلِّغ كما أُمر وهذا لا يقوله مسلمٌ فبطل ما ظنوه، وقد أتت الأحاديث الصحاح بحمل كل كلامٍ على ظاهره"[١٦٩].

العلوم التي يحتاج إليها المفسر ليجتهد في التفسير:

ليس التفسير بالرأي عبثاً كما يهوى الإنسان، بل لا بد للمرء أن يكون متسلحاً بعددٍ من العلوم التي هي آلات المفسر، وقد عدَّ أهل العلم العلوم التي يحتاج إليها المفسر فقالوا:

الأول: علم اللغة: ويدخل فيه أمران: علم الغريب، وعلم التصريف.

الثاني: علم النحو.

الثالث: علم المعاني والبيان ومعهما البديع:

وفائدة معرفة هذه العلوم الثلاثة معرفة الأساليب القرآنية الرفيعة، وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته مع التفطن لنكته ومحاسنه والوقوف على مراد المتكلم منه. نعم! إننا لا نتسامى إلى فهم مراد الله تعالى كله على

(١٦٨) الدارقطني ٤/ ١٤٤، وقد ضعف الحديث جداً. انظر: السلسلة الضعيفة ٣/ ١٢٧، وانظر تعليق ابن حزم في المتن.

(١٦٩) الإحكام لابن حزم ٣/٢٨١.

وجه الكمال والتمام غير أنه يمكننا فهم ما نهتدي به بقدر الطاقة ويحتاج في هذا إلى هذه العلوم[١٧٠].

الرابع: علم الحديث.

الخامس: علم أصول الفقه.

السادس: علم الإيمان الذي جعله بعضهم تحت مسمى علم الكلام أو العقيدة.

السابع: علم القراءات.

الثامن: علم أحوال البشر أي **علم التواريخ والأحداث والأخبار والعلوم الأخرى التي يستفاد منها في فهم القرآن الكريم:**

ومن الأمثلة التي تدل على أهمية ذلك: قصة المغيرة بن شعبة عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ (مريم:٢٨)، فقال له النصارى: إنكم تقرؤون يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: ((إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم))[١٧١]، وقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾(المائدة:١٠٣) لا يفهم معناها إلا بمعرفة تاريخ العرب.

ومثله أيضاً ضرورة المعرفة الإجمالية لعلم الكون، وعلوم الحياة التي تكلم عنها القرآن بإجمال عند تفصيل ما يتعلق بها في القرآن، وليس المقصود دراستها دراسة متخصصة.

التاسع: العلم بوجه هداية البشر كلهم في القرآن.

العاشر: العلم بسيرة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم[١٧٢].

"قال ابن أبي الدنيا: فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهي عنه، قال: والصحابة والتابعون كان

---

(١٧٠) المنار.

(١٧١)صحيح مسلم ٣/ ١٦٨٥.

(١٧٢) المنار .

عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ "[١٧٣].

وتحصيل غالب هذه العلوم ضروريٌ: "في غير أدنى مراتب التفسير أما الأدنى فهو جائزٌ من غير اعتبار تلك الشروط لأن الله يسره حتى للعامة"[١٧٤]، والمقصود بأدنى مراتب التفسير التدبر.

التحذير من المسارعة إلى التفسير بغير علم:

أطلق له الطاهر بن عاشور صيحة نذير، فقال: "هذا وإنّ واجب النصح في الدين والتنبيه إلى ما يغفل عنه المسلمون مما يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم قضى عليَّ أن أنبه إلى خطر أمر تفسير الكتاب والقول فيه دون مستندٍ من نقلٍ صحيحٍ عن أساطين المفسرين... فقد رأينا تهافت كثيرٍ من الناس على الخوض في تفسير آياتٍ من القرآن"[١٧٥].

منهج المفسرين بالرأي[١٧٦]:

حتى يصل المفسر باجتهاده إلى السداد إن شاء الله –بعد تسلحه بالعلوم المذكورة- عليه اتباع المنهج الآتي:

أولا: أن يطلب المعنى من القرآن، فإن لم يجده طلبه من السنة لأنها شارحةٌ للقرآن، فإن أعياه الطلب استأنس بقول الصحابة ﷺ وتعامل مع أقوالهم أو مروياتهم على وفق ما تقدم.

ثانيا: إن لم يظفر بالمعنى في الكتاب والسنة ومأثورات الصحابة وجب عليه أن يجتهد وسعه متبعا ما يأتي:

١) البدء بما يتعلق بالألفاظ المفردة من اللغة والصرف والاشتقاق ملاحظاً المعاني التي كانت مستعملةً زمن نزول القرآن الكريم.

٢) إرداف ذلك بالكلام على التراكيب من جهة الإعراب والبلاغة على أن يتذوق ذلك بحاسته البيانية.

---

(١٧٣) الإتقان ٢/ ٤٧٧، روح المعاني ١/ ٥، مناهل العرفان ٢/ ٣٨.

(١٧٤) مناهل العرفان ٢/ ٤٠.

(١٧٥) التحرير والتنوير ١/ ١٧.

(١٧٦) منقول من مناهل العرفان ٢/ ٤٤ بتصرف.

٣) تقديم المعنى الحقيقي على المجازي بحيث لا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة. . . فيقدم الظاهر على غيره.
٤) ملاحظة سبب النزول فإن لسبب النزول مدخلاً كبيراً في بيان المعنى المراد.
٥) مراعاة فن التناسب في الآيات، وسياق الآيات.
٦) مطابقة التفسير للمفسَّر من غير نقصٍ ولا زيادة.
٧) الاستفادة مما هو معروف من علوم الكون وسنن الاجتماع وتاريخ البشر العام وتاريخ العرب الخاص أيام نزول القرآن على أن يكون القرآن هو الأصل.
٨) التفسير لما كان عليه النبي ﷺ في هديه وسيرته لأنه هو الشارح المعصوم للقرآن بسنته الجامعة لأقواله وأفعاله وشمائله وتقريراته.
٩) ختام الأمر ببيان المعنى والأحكام المستنبطة منه في حدود قوانين اللغة والشريعة والعلوم الكونية.
١٠) عدم التعسف والتمحل في حمل معاني القرآن الكريم على معانٍ غريبة.
١١) رعاية قانون الترجيح عند الاحتمال، وهو الذي ذكره الزركشي في البرهان[١٧٧]:

قانون الترجيح عند الاحتمال:

كلُّ لفظٍ أو تركيبٍ احتمل معنيين فصاعداً هو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهادُ في ترجيح المراد به، وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل، وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه، وتتلخص حالاته في قسمين:
القسم الأول: أن يكون أحدهما أظهر من الآخر فيجب الحمل على الظاهر إلا أن يدل دليلٌ على أن المراد هو الخفي دون الجلي فيحمل عليه.
القسم الثاني: أن يكونا جليَّين، والاستعمال فيهما حقيقة، وهذا على ضربين:

(١٧٧) البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٦٨، ونقله عنه في الإتقان ٢/ ٤٨١، ونقله عن الإتقان في مناهل العرفان ٢/ ٤٤ بتصرف فيه بعض الخلل.

الضرب الأول: أن يختلف أصل الحقيقة فيهما فيدور اللفظ بين معنيين هو في أحدهما حقيقةٌ لغوية، وفى الآخر حقيقةٌ شرعية، فالشرعية أولى إلا أن تدل قرينته على إرادة اللغوية (الصلاة).

الضرب الثاني: أصل الحقيقة فيهما واحدٌ بل كلا المعنيين استعمل فيهما في اللغة أو في الشرع أو العرف على حد سواء وهذا أيضا على نوعين:

النوع الأول: أن يتنافيا اجتماعاً ولا يمكن إرادتهما باللفظ الواحد كالقرء حقيقةً في الحيض والطهر فعلى المجتهد أن يجتهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه فإذا وصل إليه كان هو مراد الله في حقه، وإن اجتهد مجتهدٌ آخر فأدى اجتهاده إلى المعنى الآخر كان ذلك مراد الله تعالى في حقه، لأنه نتيجة اجتهاده وما كلف به، فإن لم يترجح أحد الأمرين لتكافؤ الأمارات فقد اختلف أهل العلم فمنهم من قال: يُخيّر في الحمل على أيهما شاء، ومنهم من قال يأخذ بأعظمهما حكما، ولا يبعد اطراد وجهٍ ثالثٍ وهو أن يأخذ بالأخف كاختلاف جواب المفتين.

النوع الثاني: ألا يتنافيا اجتماعاً فيجب الحمل عليهما عند المحققين، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة وأحفظ في حق المكلف كما في القاعدة التي مر ذكرها، إلا أن يدل دليل على إرادة أحدهما (عسعس).

الفصل الثاني

ما يذكر على أنه من مصادر التفسير

الفصل الثاني:

ما يذكر على أنه من مصادر التفسير

المبحث الأول: مكانة تفسير التابعين كمصدر تفسيري

تقدم أن تفسير الصحابي إذا لم يكن مرفوعاً أو له حكم الرفع أو مجمعاً عليه يكون كغيره من التفسير الاجتهادي الذي ينظر في مرجحاتٍ أخرى تسنده من المصادر الأصلية للتفسير، وإلا فهو لا يعدو أن يكون رأياً، وأولى منه بهذا التابعي، وإن كان ينبغي ذكره والإشارة إليه لظن غلبة الصواب عليه؛ إذ إن صاحبه من أهل القرون المشهود لها بالخير، ولذا قال ابن تيمية: "فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين"[١٧٨]، (رجع) أي لبيان الآراء وليس الحجية، بدليل قوله بعد ذلك: "وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجةً فكيف تكون حجة في التفسير. يعنى أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم"[١٧٩]، وقال الشوكاني: "ولا حجة في أقوال التابعين"[١٨٠].

المبحث الثاني: مكانة أهل الكتاب كمصدر تفسيري

بيان مصادر التفسير الخمسة كافٍ، ويؤخذ ما نقل عن أهل الكتاب على سبيل التاريخ فيدخل ضمن الأخبار التاريخية وينقح ويحرر، ولا يؤخذ على إطلاقه، والأدلة على هذا كثيرةٌ منها:

(١٧٨) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٦٨.
(١٧٩) مجموع الفتاوى ١٣/٣٧٠.
(١٨٠) نيل الأوطار ٦/٢٢٢.

١) قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (العنكبوت:٥١)، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ (يوسف:٣)، قال ابن كثير: "ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة على مدح القرآن، وأنه كاف عن كل ما سواه من الكتب"(١٨١).

٢) وجاء عمرُ بن الخطاب ﷺ النبيّ ﷺ بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ قال: فغضب وقال: ((أَمُتَهَوِّكُون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبروكم بحقٍ فتكذبونه أو بباطلٍ فتصدقونه، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني))(١٨٢).

٣) وعن خالد بن عرفطة قال: كنت جالساً عند عمر إذ أُتي برجلٍ من عبد القيس مسكنه بالسوس فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم! قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم فضربه بقناةٍ معه قال: فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس. فجلس فقرأ عليه ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ (يوسف:١-٣) فقرأها عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال قال: مرني بأمرك أتبعه قال: انطلق فامحه

(١٨١) تفسير ابن كثير ٦١٣/٢.
(١٨٢) أحمد ٣/ ٣٨٧.

بالحميم والصوف الأبيض ثم لاَ تقرأه ولا تُقرئه أحداً من الناس فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهكنّك عقوبة. ثم قال له: اجلس فجلس بين يديه فقال: انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله ﷺ : ((ما هذا في يدك يا عمر؟)) قال: قلت: يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الأنصار: أَغَضِبَ نبيُّكم ﷺ ؟ السلاح السلاح. فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال: ((يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختصر لي اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون)) قال عمر: فقمت فقلت: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبك رسولاً. ثم نزل رسول الله ﷺ(١٨٣).

غير أن النقل عن أهل الكتاب بات مصدراً لإثراء التفسير من حيث الواقع فما الموقف مما نجده من روايات عنهم؟

تنقسم الرواية عن أهل الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

أ- ما جاء في مصادرنا الأصلية تصديقه: فهذا يُروى كما قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (الرعد:٤٣).

ب- ما جاء في مصادرنا الأصلية تكذيبه: فهذا لا يفسر به القرآن إنما يذكر تحذيراً، والمعتدون من أهل الكتاب يحاولون دسَّه في التفسير لتشويه الثقافة الإسلامية: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران:٧٢).

(١٨٣) رواه أحمد ٣ / ٣٨٧، وهو حديث حسن بمجموع طرقه، وانظر: مجمع الزائد ١/ ٤١٩، وانظر تفسير ابن كثير ٦١٣/٢، لمزيد من الآثار.

ج- ما لم يرد عندنا تصديقٌ أو تكذيبٌ له: فهذا ينقل مع بيان أنه لا يصدّق ولا يكذّب، فعن أبي هريرة ﷺ قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦]))[١٨٤]. وسبب عدم التصديق وعدم التكذيب ظهر فيما رواه الإمام أحمد عن أبي نملة الأنصاري أنه بينما هو جالسٌ عند رسول الله ﷺ جاءه رجلٌ من اليهود فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله ﷺ : ((الله أعلم قال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله ﷺ : إذا حَدَّثَكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقاً لم تكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم))[١٨٥].

يجب أن نلحظ أمرين:

الأول: لا يفسر به القرآن ما لم تدل قرينةٌ على الاستئناس به في التفسير.

الثاني: عدم سؤالهم وتحريهم عن شيءٍ من التفسير لعدم الاحتياج إليه:

وذلك لأنه زيادة علمٍ إذا علمناه على وفق الضوابط السابقة فعن عبد الله بن مسعود قال: (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن تكذّبوا بحق أو تصدّقوا بباطل فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه كتالية المال) زاد عبد الرزاق: (إن كنتم سائليهم لا محالة فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه)[١٨٦]، ولا يفتقر القرآن إلى تفسيرهم بحمد الله تعالى ولظهور التحريف في كتبهم أنكر ابن

(١٨٤) البخاري ٤/ ١٦٣٠، تفسير الطبري ١٠/ ١٤٩.
(١٨٥) أحمد ٤/ ١٣٦.
(١٨٦) تفسير الطبري ١٠/ ١٤٩، مصنف عبد الرزاق٦ / ١١١.

عباس سؤالهم إنكاراً شديداً حيث يقول: (كيف تسألون أهل الكتاب عن شيءٍ وكتابكم الذي أُنزل على رسول الله ﷺ أحدث، تقرؤونه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم)[١٨٧].

(١٨٧) البخاري ٦/ ٢٦٧٩.

الفصل الثالث

علوم القرآن التي تؤدي إلى فهم الخطاب القرآني

الفصل الثالث:

علوم القرآن التي تؤدي إلى فهم الخطاب القرآني

أسباب صعوبة فهم المراد من الكلام(١٨٨):

١) عدم معرفة المحاور الكلية التي يدور حولها الكلام، أو المقاصد الغائية منه.
٢) استعمال لفظةٍ غريبةٍ نسبياً، لذا لا بد من معرفة علم غريب القرآن.
٣) عدم الاطلاع على حقيقة الناسخ والمنسوخ والمصطلحات المستعملة في هذا الباب، فلا بد من معرفة علم النسخ في القرآن الكريم.
٤) الغفلة عن أسباب النزول، فلا بد من معرفة حقيقة أسباب النزول.
٥) استشكال أمر في الآية إما لعدم الإلمام بوجوه الخطاب البلاغية التي يستعملها العرب كوجود حذف أو إبدال، أو التفات من أسلوب إلى أسلوب، أو تقديم ما حقه التأخير والعكس، وهذا يحتاج إلى معرفة فن التوجيه.
٦) قد تكون الصعوبة راجعةً إلى عدم التمييز بين ما يحتمل معنى أو ما يحتمل معانٍ متعددة أي إلى عدم التمييز بين المحكم والمتشابه، وهذا يقود إلى معرفة هذا المبحث.
٧) استشكال التراكيب الكلامية بسبب من الأسباب كانتشار الضمائر ورجوعها إلى عدة مراجع، أو تعدد المراد من اللفظة الواحدة أو لوجود الإيجاز أو التكرار والإطناب وعدم إدراك الحكمة منه، استعمال الكناية والتعريض، والمتشابه والمجاز العقلي فلا بد من معرفة القواعد التفسيرية الخاصة بدلالات الألفاظ اللغوية.

وهذا ما يفصله الكاتب في الأصول الآتية:

(١٨٨) انظر: الفوز الكبير مع شرحه ص١٥٥ فقد أشار إلى كثير مما ذكر هنا بأسلوب آخر.

الأصل الأول:

مقاصد القرآن الكريم: محاوره العلمية الكلية، ومقاصده الغائية:

المحاور الكلية التي يدور حولها القرآن الكريم:

اختلف علماؤنا في محاولة معرفة المحاور الكلية التي يدور حولها القرآن الكريم:

أولاً: ذهب الغزالي(ت٥٠٥هـ) إلى أن القرآن يدور حول ستة مقاصد تتجلى في الأقسام الآتية[١٨٩]:

"القسم الأول: في تعريف المدعو إليه: وهو شرح معرفة الله تعالى[١٩٠].

القسم الثاني: في تعريف طريق السلوك إلى الله تعالى[١٩١].

القسم الثالث: في تعريف الحال عند ميعاد الوصال[١٩٢].

القسم الرابع: في أحوال السالكين والناكبين[١٩٣].

القسم الخامس: في محاجة الكفار ومجادلتهم وإيضاح مخازيهم بالبرهان الواضح وكشف تخاييلهم وأباطيلهم[١٩٤].

القسم السادس: في تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية التأهب للزاد، والاستعداد بإعداد السلاح الذي يدفع سراق المنازل وقطاعها[١٩٥].

---

(١٨٩) عند التدريس المنهجي (الأكاديمي) يطلب من الطلاب ضرب أمثلة على كل فقرة من آيات القرآن الكريم.

(١٩٠) جواهر القرآن ص٢٥.

(١٩١) جواهر القرآن ص٢٨.

(١٩٢) جواهر القرآن ص٣٠.

(١٩٣) جواهر القرآن ص٣١.

(١٩٤) جواهر القرآن ص٣٢.

(١٩٥) انظر: جواهر القرآن ص٣٢.

ثانياً: وأما تلميذه ابن العربي(ت٥٤٣هـ): فقد سمى مقاصد العلوم التي يحويها القرآن (أُمَّ علوم القرآن)، وهي ثلاثة أقسام: "توحيد وتذكير وأحكام"[١٩٦].

ثالثاً: وذهب الدهلوي(١١٧٦هـ): إلى أن العلوم التي اشتمل عليها القرآن خمسة:

١) علم التذكير بالله وآلائه.
٢) علم التذكير بأيام الله.
٣) علم التذكير بالحياة الأخرى ابتداءً من مقدماتها وأول ذلك الموت.
٤) علم الأحكام الحياتية: وهي التي تهم المرء في عباداته ومعاملاته وأخلاقه.
٥) علم الجدل وفن الحوار مع الفرق المخالفة[١٩٧].

رابعاً: وذهب الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) إلى أن القرآن الكريم اشتمل "على الكثير الطيب من مصالح المعاش والمعاد وأحاط بمنافع الدنيا والدين ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ (الأنعام:٣٨)، ويقول عز وجل: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (يس:١٢)، وأما مقاصد القرآن الكريم التي يكررها فهي ثلاثة مقاصد: المقصد الأول: إثبات التوحيد، والثاني: إثبات المعاد، والثالث: إثبات النبوات[١٩٨].

خامساً: وأما الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ): فيرى جماع مقاصد القرآن الكريم في مقصدين اثنين: هما الموعظة والتشريع[١٩٩]، ولو أضاف التوحيد لكان جديراً أن يفرد ويستقل.

سادساً: وذهب الشيخ محمد الغزالي إلى أن القرآن الكريم يدور حول محاور خمسة:

الله الواحد، والكون الدال على خالقه، والقصص القرآني، والبعث والجزاء، والتربية والتشريع[٢٠٠].

---

(١٩٦) قانون التأويل ص٥٤٠.
(١٩٧) الفوز الكبير ص١٩ بتصرف في الترتيب.
(١٩٨) إرشاد الثقات ص٣.
(١٩٩) التحرير والتنوير ١/ ٦٥.

المقاصد الغائية لتنزيل القرآن الكريم[٢٠١]:

نزل القرآن لثلاثة مقاصد حسان: لتربية الأكوان وهدايتهم به، لإعجاز الإنسان والجان، وللتعبد وإشباع حاجات النفس بتلاوة القرآن.

الأول: لهداية الأكوان، وتربيتهم به: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء:٩)، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ (المائدة:١٥-١٦).

الثاني: لإعجاز الإنسان والجان: ولذا سمى الله هذا الكتاب الفرقان ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ (الفرقان:١)، وسماه فصلا ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ (الطارق:١٣).

الثالث: للتعبد وإشباع حاجات النفس بتلاوة القرآن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ (البقرة:١٢١)[٢٠٢].

---

(٢٠٠) انظر: المحاور الخمسة للقرآن الكريم .

(٢٠١) انظر: مناهل العرفان ٨٩/٢.

(٢٠٢) انظر: أسماء القرآن في البرهان في علوم القرآن ٢٧٣/١.

الأصل الثاني: غريب القرآن

المبحث الأول: تعريف الغريب القرآني وأقسامه:

تعريفه: الغريب من غرب إذا بعد، والغريب الغامض من الكلام، واصطلاحاً: هو العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب.

سبب الغرابة: ضعف اللغة مع تقدم الزمان، والغرابة نسبية أي هذا اللفظ غريب بالنسبة لبعض السامعين مع أن الكلمات التي اصطلح عليها بالغريبة قد تكون من أفصح الكلمات وأجملها في موضوعها، ولذا قال ابن الهائم المصري: "ولا شك أن الغريب يقابله المشهور وهما أمران نسبيان فرُبَّ لفظٍ يكون غريبا عند شخص مشهور عند آخر"[٢٠٣].

أقسامه: يمكن تصنيف الغريب إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الغريب العام:

هو ما استعمل في القرآن الكريم، ولكنه قليل الاستعمال في لغة العرب أو قليل الاستعمال في قبيلة دون قبيلة مع فصاحته وجزالته نحو: كُبَّاراً، سِجِّيل، وقب، قسورة،**لَا يَلِتْكُمْ** [٢٠٤]، وقيل: هو الألفاظ الغريبة المستحسنة في التأويل كما أشار إلى ذلك الرافعي بحيث لا يستوي في العلم بها أهلها وسائر الناس[٢٠٥] نحو ﴿وَسَقَ﴾ (الانشقاق:١٧)، والمفردات الغريبة نحو سبعمائة لفظ[٢٠٦].

الثاني: الغريب العائد إلى اختلاف التصريف: والتصريف: "هو ما يلحق الكلمة ببنيتها وينقسم إلى قسمين:

(٢٠٣) التبيان تفسير غريب القرآن ص ٤٨٥.
(٢٠٤) التحرير والتنوير ٢١٩/٢٦.
(٢٠٥) إعجاز القرآن ص٥٧.
(٢٠٦) إعجاز القرآن ص٥٧.

أحدهما: جعل الكلمة على صيغٍ مختلفةٍ بضروبٍ من المعاني وينحصر في التصغير والتكبير والمصدر واسمي الزمان والمكان واسم الفاعل واسم المفعول والمقصور والممدود.

والثاني: تغيير الكلمة لمعنى طارئٍ عليها كالزيادة والحذف والإبدال والقلب والإدغام.

وفائدة التصريف: حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة لأن التصريف نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها[٢٠٧].

ومما يبين أهميته في باب الغريب الأمثلة الآتية:[٢٠٨]

وجد: كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت فقلنا في المال وجدا، وفى الضالة وجدانا، وفى الغضب موجدة، وفى الحزن وجدا.

و(قَسَطَ) تختلف عن أقسط، فقوله تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن:١٥)، أي الجائرون، وقوله تعالى ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات:٩) أي العادلين.

الثالث: الغريب العائد إلى اختلاف التعدي بالحروف: مثل (عيناً يشرب بها) فالمعاد أن يقال: منها، وإنما عداه بالباء ليتضمن معنى الامتلاء.

المبحث الثاني: من أمثلة الغريب:

قول الله تعالى ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (المعارج:٣٧) قال ابن عباس: العزون الحلق الرقاق. واستدل بقول عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

(٢٠٧) البرهان في علوم القرآن ٢٩٧/١.

(٢٠٨) انظر: الصاحبي، المزهرفي علوم اللغة ١/ ٢٦٠، البرهان في علوم القرآن ٢٩٧/١، الإتقان ٢/ ٤٧٧.

وقال ابن عباس: ما كنت أدرى ما قوله تعالى ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف:٨٩) حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهى تقول: أفاتحك يعنى أقاضيك، وفى سورة السجدة ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (السجدة:٢٨) يعنى متى هذا القضاء، وقوله ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (سبأ:٢٦) وقوله ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (الفتح:١)[٢٠٩] والفتح هنا أدق من القضاء.

(٢٠٩) الطبري ٦/ ٣.

الأصل الثالث:

أسباب النزول:

قاعدة: آيات القرآن على نوعين من حيث النزول: ابتدائي، وسببي.

ومَنْشَأ النُّزولِ حَيْثُ وُجِدَا مُنْقسِمٌ لِسَبَبِيٍّ وابْتِدَا

النوع الأول: النزول الابتدائي:

ويشكل القسم الأكبر من القرآن الكريم فليس ضرورياً أن تنزل آيات القرآن لأجل سببٍ معينٍ "فإن القرآن جاء هادياً إلى ما به صلاح الأمة "[٢١٠].

ومن أمثلته: "قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (التوبة:٧٥) الآيات فإنها نزلت ابتداءً في بيان حال بعض المنافقين، وأما ما اشتهر من أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب في قصةٍ طويلة، ذكرها كثير من المفسرين، وروَّجَها كثيرٌ من الوعاظ، فضعيف لا صحة له"[٢١١].

النوع الثاني: النزول السببي:

قد يكون السبب:

أ) سؤالاً يجيب الله عنه مثل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ...﴾(البقرة: ١٨٩).

ب) أو حادثةً وقعت تحتاج إلى بيان مثل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (التوبة:٦٥) الآيتين نزلتا فيمن قال من المنافقين في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغبَ بطوناً، ولا

(٢١٠) التحرير والتنوير ١/ ٢٣.
(٢١١) أصول التفسير للعثيمين ص١٥.

أكذب ألسناً، ولا أجبنَ عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ..[٢١٢]، ومن أمثلة النزول السببي: آيات الإفك.

سبب التوسع في إيراد أسباب النزول:

أولاً: حب الجمع والتوسع، فـ"كل من يتصدى لتأليف كتابٍ في موضوعٍ غير مشبعٍ تمتلكه محبة التوسع فيه فلا ينفك يستزيد من ملتقطاته ليذكي قبسه"[٢١٣] وقد قال الواحدي في أول كتابه في أسباب النزول: " أما اليوم فكل أحدٍ يخترع للآية سبباً، ويختلق إفكاً وكذباً، ملقياً زمامه إلى الجهالة غير مفكر في الوعيد"[٢١٤].

ثانياً: عدم التمييز بين المقبول والمردود من الروايات.

ثالثاً: عدم التمييز بين سبب النزول الحقيقي، وبين القصة أو الحادثة التي تندرج في معنى الآية، فيأتي الراوي بلفظ يُظَنُّ معه أنه سبب النزول للآية، وليس كذلك.

قاعدة: قولهم نزلت آية أو آيات كذا في كذا ليس نصاً صريحاً في السببية، بل قد يكون معناه تضمن الآيات للقصة:

فِي السَّبَبِيَّة إذا قِيلَ نَزَلْ ... في أيِّ شيءٍ قولُه عَزَّ وجَلْ

لَيْسَ دليلاً قَاطِعاً بَلْ يُحْتَمَلْ ... تَضَمُّنُ الآيِ لمعْنًى مُحْتَمَلْ

وأشار إلى ذلك ابن تيمية[٢١٥]، وكذلك **الطاهر بن عاشور فالقائل بنزول الآية في قصةٍ معينةٍ قد** يريد التمثيل والتضمن، وليس السببية[٢١٦]، ومما يوضح ذلك ما جاء عن أبي غالبٍ قال: كنت بالشام وبها أبو أمامة صدي بن

(٢١٢) الطبري ٤٠٨/٦.
(٢١٣) التحرير والتنوير ١/ ٢٣.
(٢١٤) أسباب النزول ص٢.
(٢١٥) مقدمة في التفسير ص٤٨، وانظر:التحرير والتنوير ٢٥/١.
(٢١٦) التحرير والتنوير ٢٤/١.

عجلان صاحب النبي ﷺ وكان لي صديقاً فجيء برأس من رؤوس الحرورية، فجاء أبو أمامة فدخل المسجد فصلى ركعتين ثم توجه نحو الرؤوس فقلت: لأتبعنه حتى أسمع ما يقول. فتبعته حتى وقف عليها فبكى ثم قال: سبحان الله ما يصنع إبليس بهذه الأمة! ثم قال: كلاب النار كلاب النار كلاب النار. ثم قال: شر قتلى قتلوا تحت ظل السماء. ثم تلا هذه الآية ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ (آل عمران:١٠٦) ثم التفت إليَّ فرآني، وأخذ بساعدي فقال: أنت ببلاد هؤلاء به كثير يعني العراق. قلت: أجل قال: أعاذك الله أن تكون منهم. قلت: يا أبا أمامة أرأيت قولك كلاب النار قلته برأيك أو شيئاً سمعته؟ قال: سبحان الله إني إذا لجريءٌ لا بل سمعته من رسول الله ﷺ لا مرةً ولا مرتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً ولا ستاً ولا سبعاً، وفي رواية الحاكم: قيل لأبي أمامة: إني رأيتك قد دمعت عيناك قال: إنهم لما كانوا مؤمنين وكفروا بعد إيمانهم ثم قرأ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ الآية فهي لهم مرتين[٢١٧].

ولذا وجب أن يعرف اصطلاحات سبب النـزول المحتملة، والاصطلاحات النصية:

فالمحتملة: كقولهم: فيه أو فيهم نزلت، ومثاله: عن الزبير بن العوام: أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ في شريج من الحرة فقال النبي ﷺ: (اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك). فقال الأنصاري: يا رسول الله أن كان ابن عمتك؟ فتلوّن وجهه ثم قال: (اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك). واستوعى النبي ﷺ حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري وكان أشار عليهما بأمرٍ لهما فيه سعة. قال: الزبير فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (النساء:٦٥) الآية[٢١٨].

والصريحة كقول البيهقي: "باب سبب نزول الرخصة في التيمم" ثم ساق حديث عائشة أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا

(٢١٧) المعجم الأوسط ٣٣٥/٧، المستدرك ٢/ ١٦٣.
(٢١٨) البخاري ٤/ ١٦٧٤، مسلم ٩٠/٧.

بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي. فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه وليسوا على ماءٍ وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر الصديق ﷺ ورسول الله ﷺ واضعٌ رأسه على فخذي قد نام فقال: حبستِ رسول الله ﷺ والناس معه وليسوا على ماءٍ وليس معهم ماء. فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده على خاصرتي فما يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماءٍ فأنزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا. فقال أسيد بن حضير -وهو أحد النقباء-: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر[٢١٩].

قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

وسَبَبُ النَّزولِ لا َ يُخَصِّصُ الـ عُمومَ فَالْقَفْوُ لِمَا عَمَّ انتُخِلْ

ولذا قال ابن عاشور: "ومعنى كون أسباب النزول من مادة التفسير أنها تعين على تفسير المراد وليس المراد أن لفظ الآية يُقصَر عليها؛ لأن سبب النزول لا يخصص"[٢٢٠].

مثال ذلك: آيات اللعان، فعن ابن عباس: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء فقال النبي ﷺ: ((البينة أو حدٌ في ظهرك)). فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة. فجعل النبي ﷺ يقول: ((البينة وإلا حدٌ في ظهرك)). فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد. فنزل جبريل وأنزل عليه الآيات المذكورة. فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها فجاء هلالٌ فشهد والنبي ﷺ يقول: ((إن الله يعلم أن أحدكما كاذبٌ فهل منكما تائب)). ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي ﷺ: ((أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء)). فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ: ((لولا ما

(٢١٩) سنن البيهقي الكبرى ٢٠٤/١، والحديث رواه البخاري ١/ ١٢٧.
(٢٢٠) التحرير والتنوير ٢٦/١.

مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن))[٢٢١]، وفي رواية: إنا ليلة الجمعة في المسجد إذ جاء رجل من الأنصار فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم جلدتموه أو قتل قتلتموه وإن سكت سكت على غيظ. والله لأسألن عنه رسول الله ﷺ فلما كان من الغد أتى رسول الله ﷺ فسأله فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم جلدتموه أو قتل قتلتموه أو سكت سكت على غيظ فقال: اللهم افتح وجعل يدعو فنزلت آية اللعان فابتلي به ذلك الرجل من بين الناس فجاء هو وامرأته إلى رسول الله ﷺ فتلاعنا...[٢٢٢]، فالآيات عامة.

قاعدة: دخول صورة السبب قطعي[٢٢٣]:

وصُـــورَةُ السَّـــببِ لِلنُّـــزولِ فـــي راجِـــحٍ قَطْعِيَّـــةُ الـــدُّخولِ

مثاله: قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٣) فإن قرينة السياق صريحةٌ في دخول نساء النبي ﷺ؛ لأن اللَّه تعالىٰ قال: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ﴾ (الأحزاب:٢٨)، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ (الأحزاب:٣٣)، ثم قال بعده: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب:٣٤)، وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، فلا يصح إخراجها بمخصص، وروي عن مالك أنها ظنيّة الدخول، وإليه أشار في «مراقي السعود»، بقوله:

واجزم بإدخال ذوات السبب وارو عن الإمام ظنًّا تصب

والتحقيق إن شاء اللَّه: أنهن داخلات، وإن كانت الآية تتناول غيرهن من أهل البيت[٢٢٤].

---

(٢٢١) البخاري ٤/ ١٧٧٢.
(٢٢٢) مسلم ٢/ ١١٣٣.
(٢٢٣) البرهان في علوم القرآن ٢٢/١.
(٢٢٤) انظر: أضواء البيان ٥٧٧/٦.

فوائد معرفة سبب النـزول:

أولاً: قاعدة: "معرفة سبب النـزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب"(٢٢٥).

ثانياً: يبين سبب النزول معنى نص ظاهر خرج عن مقتضاه:

إذ قد تنـزل الآية فيفهم القارئ من ظاهرها ما ليس مراداً، وسبب الخطأ في الفهم عدم معرفة سبب النـزول: فقد توهم قدامة بن مظعون أن قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ (المائدة:٩٣) تجيز لمن كانت هذه صفته أن يطعم من الخمر كما سبق الحديث في نشأة علم التفسير أول الكتاب(٢٢٦).

وكما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾(البقرة:١٧٨) فإن ظاهر الآية يلزم بالقصاص من تلك الأصناف على سبيل المماثلة، وكأن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتص منه، وذلك غير مراد، فالصحيح أننا يجب أن نقتص للحُر من العبد وللأنثى من الذكر بقول الله: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ (الإسراء:٣٣)، وبقوله: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ (المائدة:٤٥) وبالنقل المستفيض عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((المسلمون تتكافأ دماؤهم))(٢٢٧)، فيكون معناها:

١) الحُر إذا قتل الحُر فدم القاتل كفء لدم القتيل، والقصاص منه دون غيره من الناس فلا تجاوزوا بالقتل إلى غيره ممن لم يقتل فإنه حرام عليكم أن تقتلوا بقتيلكم غير قاتله(٢٢٨)، وسبب هذا التأويل هو سبب نزولها: فقد قيل إنها نزلت في قوم كانوا إذا قتل الرجل منهم عبد قوم آخرين لم يرضوا من قتيلهم بدم قاتله من أجل أنه عبد حتى يقتلوا به سيده، وإذا قتلت المرأة من غيرهم رجلاً لم

(٢٢٥) مقدمة في أصول التفسير ص٤٨.
(٢٢٦) المستدرك ٤/٤١٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي، سنن البيهقي الكبرى ٣/ ١٦٦.
(٢٢٧) تفسير الطبري ٢/ ١٠٧.
(٢٢٨) تفسير الطبري ٢/ ١٠٧.

يرضوا من دم صاحبهم بالمرأة القاتلة حتى يقتلوا رجلاً من رهط المرأة وعشيرتها فأنزل الله هذه الآية فأعلمهم أن الذي فرض لهم من القصاص أن يقتلوا بالرجلِ الرجلَ القاتلَ دون غيره وبالأنثى الأنثى القاتلةَ دون غيرها من الرجال، فنهاهم أن يتعدوا القاتل إلى غيره في القصاص، وكذا ذكر عن قتادة.

٢) المراد ليس عموم الآية بل هناك حذف بينه سبب النزول، والتقدير: كتب عليكم "مقاصة ديات بعض القتلى بديات بعض، وذلك أن الآية عندهم نزلت في حزبين تحاربوا على عهد رسول الله ﷺ فقَتَل بعضُهم بعضاً فأمر النبي ﷺ أن يصلح بينهم بأن تسقط ديات نساء أحد الحزبين بديات نساء الآخرين، وديات رجالهم بديات رجالهم، وديات عبيدهم بديات عبيدهم قصاصاً فذلك عندهم معنى ﴿ٱلْقِصَاصُ﴾ "[٢٢٩].

ثالثاً: قد يخصص سبب النزول العامَّ تخصيصاً نوعياً:

فإن القرآن "جاء بكليات تشريعية وتهذيبية، والحكمة في ذلك أن يكون وعي الأمة لدينها سهلاً عليها، ولذلك قال تعالى ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، فكما لا يجوز حمل كلماته على خصوصيات جزئية لأن ذلك يبطل مراد الله، كذلك لا يجوز تعميم ما قصد منه الخصوص ولا إطلاق ما قصد منه التقييد، لأن ذلك قد يفضي إلى التخليط في المراد أو إلى إبطاله من أصله"[٢٣٠].

ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ (آل عمران:١٨٨)، وفي سبب نزولها روايتان:

الأولى: عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لا يفعلوا فنزلت الآية[٢٣١].

---

(٢٢٩) تفسير الطبري ٢/ ١٠٧.
(٢٣٠) التحرير والتنوير ٢٦/١.
(٢٣١) البخاري ٤/ ١٦٦٤.

والثانية: عن علقمة بن وقاص: أن مروان بن الحكم قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرحَ بما أوتي وأحب أن يحمد بما لا يفعل معذبا لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس: وما لكم ولهذه إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ - كذلك حتى قوله -يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ (آل عمران:١٨٧-١٨٨)[٢٣٢]. . . وابن عباس هنا لم يخصص اللفظ العام بسبب النزول، بل خصصه تخصيصاً نوعياً بدلالة السياق كما هو ظاهر.

ويمكن الاستئناس في هذه المسألة بما رواه محمد بن كعب قال: جاءه رجلٌ قال: إن في بعض الكتب: إن لله عبادا ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمرُّ من الصَبِر يلبسون للناس مسوك الضأن من اللين يحتلبون الدنيا بالدين قال الله تعالى: علي يجترئون وبي يغترون. بعزتي لأتيحن لهم فتنة تدع العليم فيها حيران. فقال محمد بن كعب: هذا في كتاب الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ (البقرة:٢٠٤) قال الرجل: قد علمنا فيما أنزلت فقال له محمد: إن الأمر ينزل في رجل ثم يكون عاما[٢٣٣].

رابعاً: دفع توهم الحصر: كما قرر الشافعي في معنى: قوله تعالى ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ (الأنعام:١٤٥) الآية. أن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة والمحادة جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه...والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، ولم يقصد حل ما وراءه إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل، قال إمام الحرمين: وهذا في غاية الحُسن ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية[٢٣٤].

---

(٢٣٢) البخاري ٤/ ١٦٦٥.
(٢٣٣) شعب الإيمان ٣٦٢/٥.
(٢٣٤) البرهان في علوم القرآن ٢٢/١.

خامساً: سبب النزول قد يفصل عموم الآية: فعن كعب بن عجرة ﷺ سئل عن هذه الآية ﴿أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦] فقال كعب ﷺ: نزلت فيَّ. كان بي أذى من رأسي فحملت إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: ((ما كنت أرى أن الجهد بلغ منك ما أرى. أتجد شاة؟)) فقلت: لا، فنزلت هذه الآية ﴿أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ قال: صوم ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين نصف صاعٍ طعاماً لكل مسكين قال: فنزلت فيَّ خاصةً وهي لكم عامة[٢٣٥].

سادساً: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم: كما في آيات اللعان.

سابعاً: إزالة الإشكال[٢٣٦]: كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ (الطلاق:٤) الآية فقد "أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة وقد بيّنه سبب النزول"[٢٣٧] فعن أبي بن كعب ﷺ قال: لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عُدَدٍ من عدد النساء قالوا قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن: الصغار والكبار ولا من انقطعت عنهن الحيض وذوات الأحمال فأنزل الله عز وجل الآية التي في سورة النساء-أي سورة الطلاق-: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق:٤)[٢٣٨] "فهذا يبيّن معنى إن ارتبتم أي إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن"[٢٣٩].

ثامناً: الدلالة على إعجازه من ناحية الارتجال[٢٤٠]-فهذا من جهة النظم-، وأنه من عند الله تعالى، ويمكن صياغة ذلك في الآتي:

---

(٢٣٥) البخاري٤ / ١٥٣٥، مسلم٢ / ٨٥٩، واللفظ له.
(٢٣٦) البرهان في علوم القرآن ٢٦/١.
(٢٣٧) البرهان في علوم القرآن ٢٨/١.
(٢٣٨) المستدرك ٥٣٤/٢، وصححه ووافقه الذهبي .
(٢٣٩) البرهان في علوم القرآن ٢٩/١.
(٢٤٠) التحرير والتنوير ٢٦/١.

سبب النزول دليل على الإعجاز في الوحي النازل الملفوظ، والمكتوب في اللوح المحفوظ.

تاسعاً: بيان عناية الله تعالى برسوله ﷺ وبالمؤمنين كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ (الفرقان:٣٢) ومن أمثلة ذلك آيات الإفك؛ فإنها دفاعٌ عن فراش النبي ﷺ وتطهيرٌ له عن دنس الأفاكين[٢٤١].

قاعدة: قد يلتبس مصطلح (نزلت) ونحوه بمصطلح (تلا) أو (قرأ)، فيريد الراوي بذلك غالباً التلاوة إلا أن تدل قرينةٌ على النزول[٢٤٢]:

ثُمَّ اصطلاحُ "نَزَلَتْ" مَعَ" قَرا" ثُمَّ "تلاَ" وشِبْهِ ذَيْنِ قَدْ يرَى

فَيَقْصِدُ الرَّاوي التِّلاوَةَ إلى قَرينَةٍ دلّتْ عَلى غَيْرِ التِّلا

مثاله: ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ يهودي بالنبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: ((يا يهودي حدثنا)). فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السماوات على ذه، والأرض على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه؟- وأشار أبو جعفر محمد بن الصلت بخنصره أولا ثم تابع حتى بلغ الإبهام- فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧][٢٤٣]، فهنا عبّر ابن عباس عن ذلك بقوله: فأنزل، بينما عبد الله بن مسعود ﷺ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع فيقول أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (الزمر:٦٧)[٢٤٤] فعبّر عن ذلك بالقراءة، وفي رواية للبخاري ثم قال: ﴿وَمَا

(٢٤١) أصول التفسير للعثيمين ص ١٨.
(٢٤٢) الإتقان ٩٩/١.
(٢٤٣) سنن الترمذي ٥/ ٣٧١، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح .
(٢٤٤) البخاري ٤/ ١٨١٢.

قَدَرُوا ... ﴾ [٢٤٥]، فجعله قولاً، والآية مكيةٌ على ما هو معلوم، فكلمة نزل في الرواية الأولى معناها قرأ، وهذا يدل على ضرورة إمعان النظر في مصطلحات الصحابة ﷺ.

(٢٤٥) البخاري ٦/ ٢٧٢٩.

الأصل الرابع: النسخ:

تعريف النسخ:

لغة: ورد فيه المعاني الآتية:

١) أصله من نسخ الكتاب: نقله من نسخة إلى أخرى غيرها[٢٤٦]، وذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى بل يقتضي إثبات مثلها في مادة أخرى[٢٤٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿ئائا ئەئەئو ئو﴾ (الجاثية:٢٩).

٢) وذكر الراغب معنى جامعاً له فقال: النسخ إزالة شيءٍ يتعقبه كنسخ الشمس الظل فتارة يفهم منه الإزالة، وتارة يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران، ونسخ الكتاب: إزالة الحكم بحكم يتعقبه[٢٤٨].

ووردت كلمة نسخ في قول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:١٠٦)، وفي معناها قال الطبري: "ما ننقل من حكم آيةٍ إلى غيره فنبدّله ونغيره، وذلك أن يحول الحلال حراماً والحرام حلالا، والمباح محظوراً والمحظور مباحاً" وذلك في الطلب لا الخبر[٢٤٩].

الحكمة من النسخ عند القائلين به: اختلفوا في ذلك على أقوالٍ منها:

١) ليتم التعلق بالمعبود لا بالعبادة: فقد بين الفخر الرازي في المطالب العالية أن الشرائع قسمان: منها ما يعرف نفعها بالعقل في المعاش والمعاد، ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها إلا من السمع (النقل عن النبي ﷺ):

فالأول: يمتنع طروء النسخ عليه كمعرفة الله وطاعته أبداً.

والثاني: ما يمكن طروء النسخ والتبديل عليه، وهو أمورٌ تحصل في كيفية إقامة الطاعات الفعلية والعبادات الحقيقية، وفائدةُ نسخِها أن الأعمال البدنية إذا (تُوُوطئ) عليها خلفاً عن سلف صارت كالعادة عند الخلق، وظنوا أن أعيانها

---

(٢٤٦) تفسير الطبري ١/ ٥٢١.
(٢٤٧) مفردات القرآن / ١٤٣٤.
(٢٤٨) مفردات القرآن / ١٤٣٤.
(٢٤٩) تفسير الطبري ١/ ٥٢١.

مطلوبةٌ لذاتها ومَنَعَهم ذلك عن الوصول إلى المقصود وعن معرفة الله وتمجيده. فإذا غير ذلك الطريق إلى نوعٍ من الأنواع انقطعت الأوهام من الاشتغال بتلك الظواهر إلى علام السرائر.

٢) وقيل: الحكمة البعد عن الملل، فوُضع في كل عصرٍ شريعةٌ جديدة لينشطوا في أدائها (ونسخت كل الشرائع بشريعة النبي ﷺ).

٣) وذكر الشافعي في الرسالة أن فائدة النسخ رحمة الله بخلقه بالتخفيف عنهم وبالتوسعة عليهم، وزيادة فيما ابتدأهم به من نعمه[٢٥٠].

ومما يدل على أهمية النسخ: أن علياً رضي الله عنه مرَّ على قاضٍ فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا! قال: هلكت وأهلكت، وذُكِرَ مثل ذلك عن ابن عباس[٢٥١].

وجه الصعوبة في باب معرفة الناسخ والمنسوخ في التفسير:

هو اختلاف الاصطلاح بين المتقدمين من السلف كالصحابة والمتأخرين في هذا الباب.

معنى النسخ عند المتقدمين: هو النسخ بمعناه اللغوي المعروف الذي هو إزالة شيءٍ بإزالة بعض أوصافه، لا بمعنى مصطلح الأصوليين الخاص.

معنى النسخ عند المتأخرين: أن يرد دليلٌ شرعيٌّ متراخياً عن دليلٍ شرعيٍّ مقتضياً خلاف حكمه. فهو تبديلٌ بالنظر إلى علمنا، وبيانٌ لمدة الحكم بالنظر إلى علم الله تعالى، وفي الشريعة: هو بيان انتهاء الحكم الشرعي في حق صاحب الشرع وكان انتهاؤه عند الله تعالى معلوماً إلا أن في علمنا كان استمراره ودوامه، وبالناسخ علمنا انتهاءه وكان في حقنا تبديلاً وتغييرا[٢٥٢].

والمراد من النسخ عند المتأخرين: أن المنسوخ لا يعمل بحكمه بأي حال، بخلاف المتقدمين فإن المنسوخ يعمل بحكمه في حالٍ دون حال.

---

(٢٥٠) انظر: الرسالة ص ١٠٦ عند الكلام عن ابتداء الناسخ والمنسوخ، ونقل ذلك عن الشافعي الشوكاني في إرشاد الفحول ص ٢٧٤.

(٢٥١) الناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٥.

(٢٥٢) التعريفات ص٣٠٩.

ووجه الإشكال:

أن بعض المتأخرين أخذوا ما قال عنه المتقدمون إنه منسوخٌ فأوقعوا فيه مصطلح النسخ الذي اعتمدوه، ولذلك أوصلوا عدد الآيات المنسوخة إلى خمسمائة آية، بل يمكن إيصالها إلى أكثر من ذلك عند التأمل، ومن ذلك مثلاً: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ (الإسراء:٢٤) يقول تعالى ذكره: "وكن لهما ذليلاً رحمةً منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبَّا"[٢٥٣]. إذ قال جماعةٌ من أهل العلم في تفسير هذه الآية: إنها "منسوخة بقوله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (التوبة:١١٣)"[٢٥٤]، والنسخ هنا بمعنى التخصيص[٢٥٥].

قاعدة: النسخ عند المتقدمين أوسع من معناه عند المتأخرين

فقد يستعمل النسخ عند المتقدمين في معنى التخصيص والتقييد فهو أوسع من استعمال المتأخرين.

ثُمَّتَ مَعْنَى النَّسْخِ جَا عَنِ السَّلَفْ مُوَسَّعاً وجاءَ بِالْعَكْسِ الْخَلَفْ

فمعنى النسخ عندهم إزالة بعض الأوصاف في آية بآية أخرى[٢٥٦] مثل انتهاء مدة العمل في قوله: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾ (البقرة:١٠٩) قيل نسخها قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ (التوبة:٢٩) إلا أن ابن الجوزي قال: "زعم قومٌ أنها منسوخةٌ بآية السيف، وليس بصحيحٍ لأنه لم يأمر بالعفو مطلقاً بل إلى غايةٍ ومثل هذا لا يدخل في

(٢٥٣) تفسير الطبري ٨/ ٦١.
(٢٥٤) تفسير الطبري ٨/ ٦١.
(٢٥٥) تفسير الطبري ٨/ ٦١.
(٢٥٦) جمع هذه الأوصاف الدهلوي في الفوز الكبير ص١٦٥ مع شرحه العون الكبير.

المنسوخ"[٢٥٧]، ونحوه قال الكرمي[٢٥٨] فالمراد اعف حيث يليق العفو، وقاتل حيث يليق القتال، ومثل ذلك آياتٌ كثيرةٌ قيل إنها منسوخة بآية السيف كآيات الصبر والإعراض فإن النسخ فيها ليس على اصطلاح المحدثين بل القدماء فيعمل بهذه في وقتها المناسب، ويعمل بالأخرى في وقتها المناسب، فـ**"ليس حكم المسايفة ناسخا لحكم المسالمة بل كل منهما يجب امتثاله في وقته"**[٢٥٩].

من أنواع النسخ:

الأول: نسخ شرائع الأنبياء بعضها ببعض[٢٦٠].
الثاني: وقوع النسخ في جزئيات الشريعة: وهذا جائز وواقع.

وجود آيات منسوخة في القرآن المجيد:

ذهب الجمهور إلى وجودها، واختلفوا في عددها: فأكثرَ القدماء منها لتوسعهم في مفهوم النسخ وجاء بعض المتأخرين فطبقوا على ما ذكره المتقدمون اصطلاح الأصوليين في النسخ فمنهم من توهَّم أن المنسوخ كثير، ومنهم من حقق الأمر فقللوا منه حتى قال الزركشي: "قيل في قوله تعالى ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ﴾ (البقرة:١٠٦) ولم يقل من القرآن لأن القرآن ناسخ مهيمن على كل الكتب وليس يأتي بعده ناسخٌ له، وما فيه من ناسخٍ ومنسوخٍ فمعلومٌ وهو قليلٌ بيَّن الله ناسخه عند منسوخه كنسخ الصدقة عند مناجاة الرسول والعدة والفرار في الجهاد ونحوه وأما غير ذلك فمن تحقق علماً بالنسخ علم أن غالب ذلك من المُنسَأ"[٢٦١]، وممن أشار إلى قلة المنسوخ السيوطي[٢٦٢]، ورجح السيوطي أن عدد الآيات المنسوخة الحكم تسعة عشر، بعد أن جعلها ابن العربي إحدى وعشرين آية، وتعقبه الدهلوي فقللها إلى خمس آيات، وذكر

(٢٥٧) المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ص ١٥.
(٢٥٨) الناسخ والمنسوخ للكرمي ص ٥٤.
(٢٥٩) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٢.
(٢٦٠) الإتقان ٢/ ٥٦.
(٢٦١) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٣، ومعنى المنسأ هنا أي المتروك أو المؤجل الذي لم يمسه النسخ، أم المؤجل الذي دخله التخصيص والتقييد.
(٢٦٢) الإتقان ٢/ ٥٨.

بعض علماء الهند أن صنيع الدهلوي يظهر عدم تسليمه بأن هناك آية منسوخة أصلاً[٢٦٣].

قاعدة: غالب ما يقال بأنه نسخ هو من باب تخصيص الأزمان والأحوال:

مثاله: **آية مغالبة المسلم الواحد العشرة من الكفار:**

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ (الأنفال:٦٥) قيل منسوخة بما بعدها ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(الأنفال:٦٦) كما ورد عن ابن عباس قال: "لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين، ومئةٌ ألفاً فخفّف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى"[٢٦٤]، والنسخ إنما هو على اصطلاح المتقدمين فلا يسمى نسخاً اصطلاحاً كما روى ابن جرير عن ابن عباس قوله: "جعل على كل رجلٍ من المسلمين عشرة من العدو يؤشبهم -يعني يغريهم- بذلك ليوطِّنوا أنفسهم على الغزو، وأن الله ناصرهم على العدو، ولم يكن أمراً عزمه الله عليهم، ولا أوجبه ولكن كان تحريضاً ووصيةً أمر الله بها نبيَّه ثم خفَّف عنهم فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾(الأنفال:٦٦) فجعل على كل رجلٍ رجلين بعد ذلك تخفيفاً ليعلم المؤمنون أن الله بهم رحيمٌ فتوكلوا على الله وصبروا وصدقوا...فلا يغرنك قول رجال! ... وقد قال الله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٧)، وقال الله ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء:٨٤)[٢٦٥]، ولذا قال القرطبي: "فهو على هذا القول تخفيفٌ لا نسخ وهذا حسن"[٢٦٦]، فموافقة الدهلوي على نسخها فيه نظر.

---

(٢٦٣) العون الكبير على الفوز الكبير ص١٦٩.

(٢٦٤) الطبري ٥٢/١٤.

(٢٦٥) تفسير الطبري ٥٢/١٤.

(٢٦٦) تفسير القرطبي ٨/ ٤٥، ومثل ذلك عند: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٤٧٠، والناسخ والمنسوخ للكرمي ص ١١٤.

فهاتان الآيتان من سورة الأنفال نزلتا بعد معركة بدر أو أثناءها وفي كل الأحوال لا شك أن سورة الأنفال نزلت قبل معركة مؤتة التي وقعت بعد فتح خيبر، فكان أمام المسلم الواحد في مؤتة عددٌ لا يقل عن عشرة، فلو كانت الثانية ناسخةً نسخاً تاماً لما عمل بها الصحابة، وكذلك عمل المسلمون بالآية الأولى في كثيرٍ من معاركهم بعد وفاة النبي ﷺ كما في القادسية واليرموك وغيرها ومن أشهرها معركةُ ملاذ كرد في القرن الخامس الهجري في زمن السلطان ألب أرسلان التركي السلجوقي وملك الروم أرمانوس فالمسلمون كانوا (١٥) ألفاً في مقابل (٢٠٠) ألفٍ في أقل الأقوال.

قاعدة: التخصيص عند الكلام عن الآيات المنسوخة يعود إلى تقدير المجتهدين في الإعمال:

فقول الله تعالى ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] في سورة مكية قيل نُسِخت بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣] في سورة مدنية، وهذا غير صحيح فقد نأخذ بالعفو حسب الأحوال، فالآية الثانية خصصت الأولى ولم تنسخها نسخاً تاماً وبيان ذلك أن النبي ﷺ مات ودرعه مرهونٌ عند يهودي، وكما أمر الله بقتالهم في موضعٍ فقد أمر بالعفو عنهم في موضع، وهذا العفو استمر وقد نزلت سورة المائدة وهي من آخر ما نزل وفيها قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱ ﴾ [المائدة: ١٣]، وفي المقابل عندما يقترف أهل الذمة ذنوباً أو جرائم كالخيانة العظمى أو ما يهدد الأمن القومي للإسلام والمسلمين فإننا نُعمِل الآية الثانية ويدل على ذلك حكم سعد بن معاذ في يهود بني قريظة.

هل معرفة التاريخ تكفي لتمييز الناسخ من المنسوخ؟
الجواب: لا تكفي، كما ظهر من المثال السابق.

قاعدة: النسخ أمر توقيفي لا بد فيه من أحد أمرين: نص الشارع، والتناقض الكلي.

ولذا قال ابن حزم: "لا يحل لمسلمٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول في شيءٍ من القرآن والسنة هذا منسوخٌ إلا بيقين...)[٢٦٧]

مثالٌ من المواضع التي قيل بأنها منسوخة[٢٦٨]:

آية المتاع إلى الحول:

وهي قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾(البقرة:٢٤٠) فذكر النحاس فيها أربعة أقوال[٢٦٩] ويمكن تلخيص ذلك في قولين:

الأول: منسوخةٌ إذ معناها: إن سكنى حولٍ كاملٍ كان حقاً لأزواج المتوفين بعد موتهم أوصى بذلك أزواجهن لهن أو لم يوصوا لهن به، ونُسخ بالعدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام والميراث كما جاء عن ابن عباس قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ فكان الرجل إذا مات وترك امرأته اعتدَّت سنةً في بيته ينفق عليها من ماله ثم أنزل الله تعالى ذكره بعد: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ (البقرة:٢٣٤) فهذه عدة المتوفى عنها زوجها إلا أن تكون حاملاً فعدَّتها أن تضع ما في بطنها وقال في ميراثها: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ ﴾ (النساء: ١٢) فبيَّن الله ميراث المرأة وترك الوصية والنفقة، ومثله قال قتادة وصرح بعبارة النسخ[٢٧٠]، وقال ابن الزبير: قلت لعثمان بن عفان ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ

---

(٢٦٧) الإحكام ٤/٤٥٨.

(٢٦٨) تصرف الكاتب في كلام السيوطي في الإتقان ٢/ ٦٠ والدهلوي للتوضيح في الفوز الكبير مع شرحه بدءاً من ص١٧١.

(٢٦٩) الناسخ والمنسوخ ص٢٣٩.

(٢٧٠) تفسير الطبري ٢/ ٥٩٢.

﴿ أَزْوَاجًا ﴾ قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه[٢٧١].

الثاني: هذه الآية ثابتة الحكم لم يُنسخ منها شيء فعن مجاهد في الآية الأولى قال: كانت هذه للمعتدة تعتد عند أهل زوجها واجبا ذلك عليها فأنزل الله: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾ قال: جعل الله لهم تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلةً وصيةً: إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت وهو قول الله تعالى ذكره ﴿ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال: والعدة كما هي واجبة[٢٧٢]، ورجحه ابن كثيرٍ فقال: "وهذا القول له اتجاه، وفي اللفظ مساعدةٌ له، وقد اختاره جماعةٌ منهم الإمام أبو العباس بن تيمية ورده آخرون منهم الشيخ أبو عمر بن عبد البر"[٢٧٣].

وقد استشكل ابن عاشور موقع هذه الآية هنا بعد قوله ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ ﴾ جداً، وعلى قول الجمهور هذه الآية سابقة في النزول على آية ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ ﴾ فيزداد موقعها غرابةً إذ هي سابقةٌ في النزول متأخرةٌ في الوضع، ولكنه ارتضى حل الإشكال بما ذكره مجاهد وقال: " فلا تعرُّض في هذه الآية للعدة ولكنها في بيان حكمٍ آخرَ وهو إيجاب الوصية لها بالسكنى حولا: إن شاءت أن تحتبس عن التزوج حولاً مراعاةً لما كانوا عليه ويكون الحول تكميلاً لمدة السكنى لا العدة وهذا الذي قاله مجاهد أصرح ما في هذا الباب وهو المقبول"[٢٧٤].

---

(٢٧١) البخاري ٤/ ١٦٤٦.
(٢٧٢) تفسير الطبري ٢/ ٥٩٢، والرواية أخرجها البخاري ٤/ ١٦٤٦.
(٢٧٣) تفسير ابن كثير ١/ ٣٩٨، وممن مال إلى القول بالنسخ: الزرقاني ٢/ ١٨٧.
(٢٧٤) التحرير والتنوير ٢/٤٤٩.

الأصل الخامس: علم المناسبات القرآنية

ويمكن أن نطلق عليه علم الاتصال القرآني أو علم النظم القرآني لأنه يتكلم على الارتباط العضوي بين الآيات والسور والأجزاء في القرآن الكريم.

قاعدة: القرآن كتاب هدايةٍ وتربيةٍ وتزكيةٍ وإعجازٍ فنظمه كذلك:

سبب هذه القاعدة: الرد على من زعم أن القرآن الكريم متنافر متناثر الأجزاء، ومن أدلة هذه القاعدة:

١) آيات الإحكام للقرآن الكريم مثل: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]

٢) التوقيفية في ترتيب الآيات فإنها تقتضي ضرورة وجود حكمةٍ في وضع آياتٍ نزلت متأخرةً في سورةٍ متقدمةٍ مثلاً.

ارتباطه بأصول التفسير:

١) يحتاج المفسر إلى معرفة نظام القرآن في سوره وآياته ليبيّن وجه الإعجاز والهداية من جهة، وبيان معنى الآيات تحديداً من جهةٍ أخرى.

٢) القرآن الكريم كتابٌ محكمٌ في سوره وآياته يتصل بعضها ببعضٍ على أكمل وجهٍ وأتمّه، ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود:١) ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٍ﴾ (الزمر:٢٨)، ولذا يحتاج المفسر إلى بيان ذلك والاستفادة منه.

٣) للسياق أثرٌ في فهم المنساق كقوله تعالى: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ (البقرة:١٨٧) قيل: هو الولد، وقيل: ليلة القدر، وقيل: ما أحله لكم ورخص لكم، والأول أرجح لمناسبته السياق؛ حيث جاء عقيب قوله: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾.

قاعدة: قال الزركشي: (المناسبة علمٌ شريفٌ تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول)[٢٧٥].

أبرز معالم نشأته وتطوره وأهم مصادره:

١) بدايته كما قال البقاعي في كتابه (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور): "وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية"[٢٧٦]، واستدل على ذلك بأن أعرابياً -لم يكن قرأ القرآن- سمع قارئاً يقرأ آية ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٠٩)، فأبدله القارئ فقال: غَفُورٌ رَّحِيمٌ، فقال الأعرابي مصوباً: "إن الحكيم لا يَذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراءٌ عليه"[٢٧٧][٢٧٨].

٢) وأول من أظهر ببغداد علم المناسبة هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري الشافعي ت٣٢٤هـ -وكان غزير العلم في الشريعة والأدب- كان يقول على الكرسي إذا قُرئت عليه الآية: لِمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يُزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة[٢٧٩].

٣) ثم جاء محمد بن علي الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير ت٣٦٥هـ، قال فيه الذهبي: سئل أبو سهل الصعلوكي عن تفسير أبي بكر القفال فقال: قدسه من وجه، ودنسه من وجه أي دنسه من جهة نصرة الاعتزال، واستفاد منه السيوطي في المناسبات وبين أن الرازي نقل عنه[٢٨٠].

٤) وقد شكا القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) في كتابه (سراج المريدين) من ضعف النظر في هذا العلم، وقال: " ثم فتح الله -عز وجل- لنا فيه،

---

(٢٧٥) البرهان في علوم القرآن ١/٣٥.
(٢٧٦) مصنف عبد الرزاق ٣/ ٣٦٥.
(٢٧٧) الكشاف ١/ ١٢٥، تفسير النسفي ١/ ١٠٠.
(٢٧٨) انظر مصاعد النظر كاملاً.
(٢٧٩) البرهان ١/ ٣٦.
(٢٨٠) طبقات المفسرين ص ٩٤.

فلما لم نجد له حَمَلَة، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه"[٢٨١].

٥) وتعرض له الفخر الرازي محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ) فقال: "أكثر لطائف القرآن مودعةٌ في الترتيبات، والروابط"، وبيَّن أن الإعجاز الأسلوبي يرجع إليه[٢٨٢]، وله-غير التفسير- كتاب أسرار التنزيل وأخبار التأويل[٢٨٣]، وتوفي قبل إتمامه[٢٨٤].

٦) أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي الأندلسي ت٦٣٧هـ، ووضع كتابه مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل.

٧) أول من أفرد علم المناسبات القرآنية بالتصنيف هو (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الأندلسي) النحوي الحافظ المتوفى (٨٠٧هـ) صاحب البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن، وملاك التأويل.

٨) من أهم كتب علم المناسبات: نظم الدرر في تناسب الآي والسور: لبرهان الدين البقاعي إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ). وذكر في آخره أنه أقام فيه أربع عشرة سنة، وقال في آخره: "وسميته: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ويناسب أن يسمى: فتح الرحمن في تناسب أجزاء القرآن. وأنسب الأسماء له: ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان"، ثم اختصره في: دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم، وله: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، قال: ويصلح أن يسمى: (المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى).

٩) ومن كتب علم المناسبات: تناسق الدرر في تناسب السور للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، وكان قد سماه سابقاً نتائج الفكر في تناسب السور، وطبع تحت اسم: أسرار ترتيب القرآن[٢٨٥].

---

(٢٨١) البرهان ١/ ٣٦، تنوير الحوالك ١/ ٢٣٩.

(٢٨٢) تفسير الرازي ٦٧/٤ عند تفسير آية ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ (البقرة:٢٨٥)، و ٢٤٥/٥ عند تفسير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾ (النساء:٥٨).

(٢٨٣) الوافي في الوفيات ١/ ٥٤١.

(٢٨٤) كشف الظنون١/ ٨١.

(٢٨٥) الإتقان ٢/ ٢٨٨.

١٠) ثم جاء عبد الحميد بن أحمد الأنصاري الفراهي (ت١٣٤٩هـ): له نظام القرآن، ودلائل النظام، والتكميل في أصول التأويل.
١١) ثم جاء الشيخ محمد عبده كما في تفسير المنار حيث نقل عنه تلميذه محمد رشيد رضا عنايته بهذا الفن، وكذا تلاميذ الأستاذ محمد عبده كمصطفى المراغي.
١٢) ثم جاء الأستاذ سيد قطب في الظلال، وفي كتابه الآخر التصوير الفني في القرآن.
١٣) ثم جاء كتاب جواهر البيان في تناسب سور القرآن للشيخ عبد الله بن محمد الصديقي الغماري، وقال عنه نظماً:

وكتبت مثل كتـــابهـــم ... بحثاً يـــؤيـــده النـظر
أعملت فـيـه قـريـحـتـي ... واختـــرت أنســـب الفكر
وفتحت بعض المغلقـــات ... من آي الكتـاب ومن سـور
وأتيـــت من عـــين المسـا ... ئـل بالبـدائـع والـغُـرر
أُلْهِـــمْتُ من فيـض الإلـه ... بفيـض فضـــلٍ مُـدَّخـر
حمـــداً لواهب فـضـله ... وله التـطـــوُّل إذ ســتر
وصـلاته دومـــــاً عـلى ... خيـــر البريـة من مُضَر[٢٨٦]

تعريف علم المناسبة:

المناسبة لغة: المقاربة، وعرف البقاعي علم مناسبات القرآن بأنه علمٌ تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال[٢٨٧]، وعرف ابن القيم التناسب بأنه: "ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر"[٢٨٨].

(٢٨٦) ذكر هذه الأبيات في جواهر البيان قبل المقدمة كاستهلال له.
(٢٨٧) نظم الدرر ١/٦.
(٢٨٨) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ص١٣٠.

فائدة هذا العلم:

١) إظهار الإعجاز القرآني من خلال الشعور بانسجام القرآن الموضوعي، وتناسق القضايا التي تطرقت إليها آياته، وإظهار الاتفاق بين الآيات، والسور في ترتيبها[٢٨٩].
٢) إظهار البلاغة القرآنية.
٣) استنباط الحكمة من الترتيب المصحفي للسور والآيات الذي خالف الترتيب التاريخي.

نقطة الضعف فيه: أنه استنباط على الأغلب لا يتعدى أن يفيد الظن[٢٩٠] وكثيراً ما يعتمد على الذوق، ولذا أنكره بعض أهل العلم بالتفسير من حيث الأصل، وتردد فيه بعضهم.

أبرز من ردَّ علم المناسبات:

تحفظ الشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) في الأخذ بهذا العلم على عواهنه[٢٩١]، ورده الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) من حيث الأصل، وأنكر على من اشتغل به[٢٩٢].

إلا أن الدليل الذي ذُكِرَ لنقض هذا العلم صالحٌ تمام الصلاحية للاستدلال على إثباته، وقد قال الملوي فيمن أنكر علم المناسبات: "قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، وحافظ القرآن العظيم لو استفتى في أحكامٍ متعددةٍ أو ناظر فيها أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقا، بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة"[٢٩٣].

---

(٢٨٩) انظر: البرهان في علوم القرآن ٣٥/١.
(٢٩٠) وقد يقال هذا شأن كثير من المسائل والعلوم القائمة على التدبر والتفكر.
(٢٩١) الإتقان ٣٧٠/٣.
(٢٩٢) انظر: فتح القدير ١/ ١١٦.
(٢٩٣) البرهان في علوم القرآن ٣٧/١، وتسميته وردت عند السيوطي في الإتقان ٢/ ٢٨٩.

أنواع علاقات التناسب:

هناك عشرة أنواع من العلاقات التناسبية:

١) التناسب بين الآيات بعضها مع بعض مرتبةً أو متباعدةً ضمن السورة الواحدة، ومن أمثلة المتباعدة: ما أشار إليه الزمخشري من علاقة المثَلَيْن المذكورَيْن في آخر سورة التحريم ببدايتها لتحضيض سيدتنا عائشة، وسيدتنا حفصة رضي الله عنهما على الاقتداء بالصالحتَين آخر السورة[٢٩٤].

٢) التناسب بين مفردات الآية الواحدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (غافر:٧): **فمقتضى الإيمان محبة الخير للآخرين.**

٣) التناسب بين الجمل التامة في الآية الواحدة ففي قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ (البقرة: ١٨٩)، يظهر استشكال في ارتباط صدر الآية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ مع وسطها ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ (البقرة:١٨٩) وقد ورد في سبب نزول الصدر "ما أخرجه ابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عباس قال: نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن عَنَمة وهما رجلان من الأنصار قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان. لا يكون على حال واحد؟ فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ في حلّ دَيْنِهم ولصومهم ولفطرهم وعُدَدِ نسائهم والشروط التي إلى أجل"[٢٩٥]، وفي الجزء الثاني ورد عن البراء ﷺ أنه قال: نزلت هذه الآية فينا .كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عُيِّر بذلك فنزلت ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ

(٢٩٤) الكشاف ٤/ ١٢٧٥.
(٢٩٥) فتح القدير ١/ ٢٩١.

﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [٢٩٦] فالتمس بعض المفسرين المناسبة بين القضيتين، فقالوا:

أ) يحتمل أن ذلك لاتفاق وقوع القضيتين في وقت واحد[٢٩٧]،

ب) لأن الأهلة ترتبط بالحج وغيره من العبادات، وقد عُيِّر الصحابي الذي رجع من الحج لأنه دخل من الباب فظهر الاجتماع بين القضيتين، وممن أشار إلى ذلك الشوكاني الذي شن على علم المناسبات الغارة.

ج) ومنها ما قاله أبو عبيدة: إن هذا من ضرب المثل، والمعنى: ليس البر أن تسألوا الجهال ولكن البر التقوى واسألوا العلماء كما تقول: أتيت هذا الأمر من بابه[٢٩٨].

٤) التناسب بين المعنى العام ورأس الآية " كما في قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (الأحزاب:٢٥) وسمى ابن أبي الأصبع هذا النوع التمكين[٢٩٩].

٥) التناسب بين خواتم السور بفاتحة ما بعدها: مثل ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]، ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[النجم: ١] [٣٠٠].

٦) التناسب بين السورة والسورة التي قبلها كالضحى والشرح[٣٠١].

٧) مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

٨) وأشار السيوطي إلى التناسب بين فاتحة السورة وتفاصيلها، ويسمى براعة الاستهلال.

٩) ذكر ابن القيم نوعاً آخر هو تناسب اللفظ والمعنى "من غير أن يكسى اللفظ الشريف المعنى السخيف، أو على الضد بل يصاغان معاً صياغةً تتناسب وتتلاءم"[٣٠٢].

---

(٢٩٦) البخاري ٢/ ٦٣٩.

(٢٩٧) تفسير القرطبي ٢/ ٣٣٩.

(٢٩٨) فتح القدير ١/ ٢٩١، وانظر: الكشاف ١/ ١١٦، تفسير البيضاوي ١/ ٤٧٤، تفسير الفخر الرازي ٣/١٣٤.

(٢٩٩) الإتقان ٢/ ٢٧٠.

(٣٠٠) البرهان ١/٣٨.

(٣٠١) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/٣٩.

١٠) ويمكن إضافة نوعٍ آخر: هو التناسب بين السورة واسمها.
ويتعلق بهذا علم آخر هو علم المتشابه من القرآن، كالمقارنة في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾ (الأنبياء:٢) لم قال ما ولم يقل لا، ولم قال من ربهم، ولم يقل من إلههم، وفي موضع آخر من الرحمن..."[٣٠٣].

القانون الكلي لمعرفة المناسبة:

مرجع المناسبة إلى معنى ما رابطٍ بينهما عامٍ أو خاصٍ عقليٍّ أو حسيٍّ أو خياليٍّ وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول.
وقد وضع قانون المناسبة الشيخ أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله محمد المَشَذَّالي المغربي المالكي فقال: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع أجزاء القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما تستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها"[٣٠٤].

من أسباب ارتباط الآي بعضها ببعض[٣٠٥]:

أ) **التناظر**: فإن إلحاق النظير بالنظير من دأب العقلاء، ومن أمثلته قوله تعالى ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ (الأنفال:٥) عقب قوله ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ

(٣٠٢) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ص١٣٠.
(٣٠٣) التبيان ص٢٩٨.
(٣٠٤) التبيان ص٣٠١.
(٣٠٥) أغلب ما أخذ في هذه الفقرة إنما هو من بنات أفكار الإمام الزركشي في البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٠ ملخصاً، ونقله في الإتقان ٢/ ٢٩٢ بزيادات مفيدة، وحاول تحقيق بعض مباحثه الشيخ طاهر الجزائري في التبيان ص٢٩٦.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال:٤) فإن الله سبحانه أمر رسوله ﷺ أن يمضي لأمره في الغنائم على كرهٍ من أصحابه ﷺ كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون.

ب) **المضادة**: ومن أمثلته قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ (البقرة:٦) الآية فإن أول السورة كان حديثاً عن القرآن الكريم وأنه هداية لقوم صفاتهم كذا، ولا يهدي القوم الذين من صفاتهم كذا، فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.

ج) **الاستطراد**: كقوله تعالى ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [٣٠٦]، فالاستطراد في ذكر اللباس المعنوي بعد الحسي.

د) **حسن التخلص:** وهو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما، ومثاله: ما جاء في سورة الأعراف من ذكر الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة، ثم ذكر موسى إلى أن قص حكاية السبعين رجلا ودعائه لهم ولسائر أمته بقوله ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ (الأعراف:١٥٦) وجوابه تعالى عنه ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بقوله قال ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ ...﴾ (الأعراف:١٥٦) فاتضحت الصلة بين ذكر موسى عليه السلام والتائبين من أمته، وذكر النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- في السورة.

---

(٣٠٦) الكشاف ٥٩/٢.

قاعدة: خصوص السياق لا يقتضي تخصيص المنساق بالضرورة:

لاَ يقْتَضِي التَّخْصِيصُ لِلسِّيَاق ضَرورَةَ التَّخْصِيصِ لِلمُنْسَاقِ

"فلا يقتضي تخصيص العام نحو ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء:١٢٨)"[٣٠٧].

قاعدة: يشترط الزمان في سبب النزول لا في المناسبة:

في سَبَبِ النُّزُولِ إِنَّمَا اشْتُرِطْ دُونَ الْمُنَاسَبَةِ وقْتُهُ فَقَطْ

ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨] فإن مناسبتها للآيات التي قبلها وهي قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١] أن كعب بن الأشرف وأحبار اليهود خانوا أمانة العلم بكتمانهم العلم بل وتحريفه[٣٠٨]، مع أنه من حيث الزمان نزلت آية (٥١) قبل بدر، ونزلت آية (٥٨) في فتح مكة.

(٣٠٧) التحرير والتنوير ١/ ١٠.

(٣٠٨) البرهان ١/ ٢٦، وفي الإبهاج في شرح المنهاج في الأصول ٢/ ١٩٠ كلام شبيه به.

الأصل السادس: فن التوجيه:[٣٠٩]

المبحث الأول: المقدمات التعريفية:

التعريف: هو مصدر توجَّه إلى ناحية كذا إذا استقبلها وسعى نحوها[٣١٠].

ويمكن تحديد تعريفه الاصطلاحي بأنه:

التماس وجه الكلام الخفي، أو التعليل لما يظهر فيه من إشكال.

والمقصود منه البحث عن مغزى الكلام الذي أثار إشكالاً في ذهن السامع، "فإذا حلَّ المفسِّر هذا الإشكال، سمى ذلك الحل: توجيهاً"[٣١١].

المبحث الثاني: مجمل المشكلات التي تحتاج إلى التوجيه:

التوجيه "فنٌ كثير الشُّعَب يستعمله الشراح... ويحصل به امتحان ذكائهم"[٣١٢].

ومن الأمثلة الدقيقة التي توضح أن التوجيه يختلف بحسب الأفهام:

قوله تعالى: ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾(الحج: ١٣) فقد ذكر البغوي أنها "من مشكلات القرآن"[٣١٣]، وذكر فيها عدة إشكالات تحتاج إلى توجيه، ومن هذه الإشكالات:

(٣٠٩) للكاتب بحث مستقل عن فن التوجيه عند المفسرين، ويذكر هنا أبرز المعالم المتعلقة به.
(٣١٠) خزانة الأدب ١/ ٣٠٢.
(٣١١) انظر: الفوز الكبير في أصول التفسير ص١٩٨.
(٣١٢) العون الكبير في أصول التفسير ص٢٩٩.
(٣١٣) تفسير البغوي ص٣٦٩.

الإشكال الأول: قال الله في الآية قبلها ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ ﴾ (الحج:١٢)، وقال هاهنا: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ ﴾ (الحج:١٣) فكيف التوفيق بينهما؟.

قيل في توجيه ذلك الآتي:

١) أن قوله في الآية الأولى ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ ﴾ (الحج:١٢) أي: لا يضره ترك عبادته وقوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ ﴾ أي: ضر عبادته عندما يجد عقوبة ذلك[٣١٤].

٢) ووجَّه ابن تيمية ذلك بأن الإضرارَ المثبَت المضاف إلى المعبود الباطل غيرُ الإضرار المنفي عنه، فالإضرار المنفي هو فعل الضرر وإحداثه بالعابد، أما المثبَت فهو تسبب عبادة المعبود في وقوع الضرر بالعابد في الدنيا والآخرة. . . وهذا كما يقال أهلك الناس الدرهم والدينار، فالمشركون الذين عبدوا غير الله حصل لهم بسبب شركهم بهؤلاء من عذاب الله في الدنيا ما جعله الله عبرةً لأولى الأبصار قال الله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ... ﴾ (هود:١٠٠-١٠١)[٣١٥]، ولخَّص الألوسي ذلك بعبارةٍ رشيقةٍ فقال: "الضر المنفي ما يكون بطريق المباشرة، والمثبَت ما يكون بطريق التسبب، والنفع المنفي هو الواقعي والمثبَت هو التوقعي"[٣١٦].

الإشكال الثاني:- ولا يخطر غالباً إلا على ذهن مفسِّرٍ لغوي متبحرٍ- وهو:

قوله ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ ﴾ (الحج:١٢) ما وجه هذه اللام؛ إذ الأصل: (يدعو من ضره)؟ اختلفوا فيه على عدة أجوبةٍ منها:

١) اللام في قوله (لمن) لام الابتداء وهي تفيد تأكيد مضمون الجملة الواقعة بعدها، فلام الابتداء تفيد مفاد (إن) من التأكيد، وقدمت من تأخير إذ حقها أن تدخل على صلة (من) الموصولة، والأصل: يدعو من لضره أقرب من نفعه.

---

(٣١٤) انظر: الكشاف ٣/ ٢٧.

(٣١٥) مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٦٩، وانظر: تفسير البغوي ص ٣٦٩.

(٣١٦) روح المعاني ١٧/ ١٢٥، تفسير البغوي ص ٣٦٩.

٢) قال ابن هشام: ﴿يَدۡعُواْ﴾ بمعنى يقول: والخبر محذوف أي يقول: لمن ضره أقرب من نفعه هو إله[٣١٧].

قانون التوجيه:

حتى يستطيع المفسر أن يوجه الكلام لا بد أن يلتزم قانون التوجيه، وهو الآتي:

١) أن يبين وجه الصعوبة التي تضمَّنها الكلام مفصلاً.
٢) ثم يتكلم في حل تلك الصعوبة بالتفصيل ذاكراً الأقوالَ الوجيهة الواردة في ذلك.
٣) ثم يزن تلك الأقوال، ويرجّح ما بدا له أنه أنفع الأجوبة.
٤) التوجيه أمرٌ استنباطيٌّ اجتهادي، ولذا فقد يجمع فيه بين عدة استنباطات عند ظهور وجاهتها كما في قول الشوكاني عند ذكره وجهين للتكرار في قوله: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ﴾ (البقرة:٣٨) بعد قوله: ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ﴾ (البقرة:٣٦) "ولا تزاحم بين المقتضيات فقد يكون التكرير للأمرين معا"[٣١٨].
٥) ينقسم التوجيه إلى: توجيهٍ وجيه، وتوجيهٍ غير وجيه[٣١٩].

(٣١٧) روح المعاني ١٧/ ١٢٥، تفسير البغوي ص ٣٦٩، التحرير والتنوير ١٧/ ١٥٨.
(٣١٨) فتح القدير ١/ ١٠٨.
(٣١٩) انظرمثلاً: روح المعاني ١١/ ١٨٣، ١٣/ ١٩٦، التحرير والتنوير ١٨/٨٢ عند قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾.

المبحث الثالث: من أنواع المسائل التي تحتاج إلى التوجيه:

الأول: أن يذكر الله تعالى وصفاً دون غيره:

فتلتمس علة ذلك، أو يبحث عن وجهه، ففي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة:٥)، ذكر أهل العلم بالتفسير عدة إشكالاتٍ تحتاج إلى توجيهٍ منها: لماذا بدأ بوصف التعبد؟ ومن التوجيه لذلك: أنَّ العبودية أشرف الأوصاف التي يهفو إليها الخلق، ولذا وصف الله تعالى النبي ﷺ بالعبودية في أشرف المقامات، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (الكهف:١)، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ (الجن:١٩)، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (الإسراء:١)"فسمَّاه عبداً عند إنزاله عليه، وعند قيامه في الدعوة، وإسرائه به، وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقاتٍ يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر:٩٧-٩٩)"[٣٢٠].

وفي ترجمة أحمد بن محمد الغزالي (ت٥٢٠هـ)، وهو أخٌ لحجة الإسلام الغزالي (ت٥٠٥هـ): لمَّا قرأ المقرئ في بعض مجالس وعظه قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ (الزمر:٥٣) قال: شرفهم بياء الإضافة إلى نفسه بقوله ﴿يَا عِبَادِيَ﴾ ثم أنشد:

وهان عليَّ اللّوم في جنب حبّها. . . وقول الأعادي إنه لخليع
أصم إذا نوديت باسمي وإنّني. . . إذا قيل لي يا عبدها لسميع[٣٢١]

(٣٢٠) ابن كثير ١/ ٤٨.
(٣٢١) الوافي في الوفيات/ ١٠٦١.

الثاني: أن يظهر من وضع الآية في المصحف التأخر مع تقدم السبب بفترة طويلة:

فقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (التوبة:١١٣) ورد في سبب نزولها ما رواه المسيب بن حزن قال: إن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: ((أي عم! قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله). فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيءٍ كلمهم به: على ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ: (لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنه)، فنزلت الآية المذكورة، ونزلت ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ (القصص:٥٦)[٣٢٢]، فقد يستبعد بعضهم ذلك بأن موت أبي طالب قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين وهذه السورة من أواخر ما نزل بالمدينة، وتوجيه ذلك بالتالي:

١) ما قاله الواحدي: هذا الاستبعاد مستبعد فأي بأس أن يقال: كان ﷺ يستغفر لأبي طالب من ذلك الوقت إلى وقت نزول الآية؛ فإن التشديد مع الكفار إنما ظهر في هذه السورة، وعليه لا يراد بقوله: فنزلت في الخبر بأن النزول كان عقيب القول بل يراد أن ذلك سبب النزول، فالفاء فيه للسببية لا للتعقيب...وهو توجيهٌ وجيه.

٢) كون هذه السورة من أواخر ما نزل باعتبار الغالب كما تقدم فلا ينافي نزول شيء منها في مكة[٣٢٣].

الثالث: أن يظهر إشكالٌ في الترتيب:

ففي قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ (هود:٣): عطف قوله سبحانه ﴿ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ (هود:٣) على ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ ﴾ وفي هذا الترتيب إشكالٌ؛

(٣٢٢) البخاري ٣/ ١٤٠٩، مسلم ١/ ٥٤.
(٣٢٣) الجوابان في روح المعاني ١١/ ٣٣ بتصرف.

إذ تمَّ توسيط ﴿ثُمَّ﴾ بينهما مع أن الاستغفار علامة التوبة، فكيف يتوب بعد الاستغفار، وَوُجِّهَ ذلك بالتالي:

١) المراد بالاستغفار هنا التوبة عما وقع من الذنوب، وبالتوبة الاستغفار عما يقع منها بعد وقوعه فكلمة ثم على ظاهرها من التراخي في الزمان، أي استغفروه من سالف ذنوبكم، وتوبوا إليه من المستأنف متى وقعت منكم كما قال بعض الصلحاء: الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين[٣٢٤]. وهذا التوجيه وجيه، وحقيقته أمران: الأول: الاستغفار العام عن السوالف، والتوبة الخاصة عما يقع بعد، والثاني: الاستغفار العام عن السوالف، والتوبة بالإقلاع عن مقارفة الذنب.

٢) وقال الفراء: إن (ثُمَّ) بمعنى الواو، والعطف تفسيري.

٣) وقيل: إنما قدم ذكر الاستغفار لأن المغفرة هي الغرض المطلوب، والتوبة هي السبب إليها فالمغفرة أولٌ في المطلوب وآخرٌ في السبب[٣٢٥].

٤) وقيل: الاستغفار ترك المعصية، والتوبة هي الرجوع إلى الطاعة.

ورجح ذلك الطبري فقال: "﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ (هود:٢) وأن اعملوا أيها الناس من الأعمال ما يرضي ربكم عنكم فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التي ركبتموها بعبادتكم الأوثان والأصنام وإشراككم الآلهة والأنداد في عبادته، وقوله: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ (هود:٣) يقول: ثم ارجعوا إلى ربكم بإخلاص العبادة له[٣٢٦].

(٣٢٤) تفسير القرطبي ٩/ ٧.
(٣٢٥) تفسير القرطبي ٩/ ٧.
(٣٢٦) تفسير الطبري ٦/ ٦٢٢ .

الرابع: ظهور ما يوهم التناقض (التعارض) بين الآيتين:[٣٢٧]

أُسُسٌ في الكلام على موهِمِ التناقض (التعارض):

١) تحدى القرآن الكريم في أثناء حديثه عن نفسه أن يجد أحد فيه خللاً أو خرقاً: فنفى الريب عنه ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾(البقرة:٢)، ونفى عن نفسه الاختلاف الذي يؤدي إلى التناقض: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء:٨٢)، ولذا ذُكِرَ عن أبي العباس بن سريج أنه سأله رجلٌ عن قوله تعالى ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ (البلد:١) فأخبر أنه لا يقسم بهذا ثم أقسم به في قوله ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ (التين:٣) فقال ابن سريج: أيُّ الأمرين أَحَبُّ إليك: أجيبك ثم أقطعك أو أقطعك ثم أجيبك؟ فقال: بل اقطعني ثم أجبني فقال: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجالٍ وبين ظهراني قوم، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا، وعليه مطعنا، فلو كان هذا عندهم مناقضةً لتعلقوا به، وأسرعوا بالرد عليه، ولكنَّ القوم علموا وجهلتَ، فلم ينكروا منه ما أنكرتَ –فهذه قاعدةٌ عامةٌ تنقطع معها الشبه ثم قال له مجيباً عن سؤاله الخاص-: إن العرب قد تُدخِل (لا) في أثناء كلامها وتلغي معناها وأنشد فيه أبياتا...[٣٢٨] أي (فلا) هنا لتأكيد القسم أي أُقسِم قسماً مؤكداً كما في قوله تعالى:﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ (الواقعة:٧٥) ثم قال مبيناً أن (لا) في الآية لتأكيد القسم لا لنفيه- ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة:٧٦)، وما زالت بعض قبائل اليمن في إب العليا يدخلون (لا) في الإثبات لتأكيد الإثبات لا للنفي فهذا استعمالٌ عربيٌّ جاء به القرآن المبين.

(٣٢٧) انظر: البرهان ٢/ ٥٤، الإتقان ٢/ ٧٢، دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب كاملاً.
(٣٢٨) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٦.

٢) أمر بإعمال الفكر والتدبر حتى لا يقع الإنسان في مثل هذا الوهم: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾(النساء:٨٢).

٣) حتى يتم ادعاء التناقض: لا بد من التضاد بين الكلامين من كل جهةٍ في الاسم والحدث والزمان والأفعال والحقيقة، ولن يوجد في الكتاب ولا في السنة شيءٌ من ذلك أبدا...أما لو كان الاسم حقيقةً في أحدهما وفي الآخر مستعارا ونفي أحدهما وأثبت الآخر لم يعد تناقضا[٣٢٩]، **فتعدد جهات الخطاب يمنع التناقض كما قال أبو إسحاق الشاطبي**: "إذا تعددت الجهات زال التدافع، وذهب التنافي، وأمكن الجمع"[٣٣٠].

وممن اعتنى بالتوجيه في هذا الباب:

أ) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ).

ب) ابن تيمية(ت ٧٢٨) هـ له كتاب: تفسير آياتٍ أشكلت على كثير من العلماء.

ج) محمد الأمين الشنقيطي له كتاب: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب.

ومن أجمع الأمثلة على توجيه هذا النوع:

أن رجلاً قال لابن عباس رضي الله عنهما: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ؟ وفي رواية: يا ابن عباس إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ فقد وقع في صدري... فقال ابن عباس: تكذيب؟ فقال الرجل: ما هو بتكذيب، ولكن اختلاف قال ابن عباس: فهلم ما وقع في نفسك. فقال له الرجل: أسمع الله يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١)، ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (الصافات: ٢٧).

﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (النساء: ٤٢)،﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: ٢٣) فقد كتموا هذه الآية؟

(٣٢٩) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٥٣.

(٣٣٠) الموافقات في أصول الشريعة ٣١٣/١.

وقال ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ - إلى قوله - ﴿دَحَىٰهَآ﴾ (النازعات: ٢٧- ٣٠) فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ - إلى قوله - ﴿ئْتُوا﴾ (فصلت:٩ – ١١) فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء؟.

وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٩٦)، ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٥٦)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨) فكأنه كان ثم مضى؟.

فقال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ (المؤمنون:١٠١) في النفخة الأولى ثم ينفخ في الصور ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الزمر: ٦٨) فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ثم في النفخة الآخرة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (الصافات:٢٧).

وأما قوله ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:٢٣)، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء:٤٢) فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين فختم على أفواههم فتنطق أيديهم فعند ذلك عرف أن الله لا يُكتَم حديثاً وعندها ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (النساء: ٤٢).

وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله ﴿دَحَىٰهَآ﴾ (النازعات:٣٠)، وقوله ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت:٩). فجعلت الأرض وما فيها من شيءٍ في أربعة أيام وخلقت السماوات في يومين.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:٩٦)سمى نفسه بذلك وذلك قوله أي لم يزل كذلك فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد فلا يختلف عليك القرآن فإن كلا من عند الله[٣٣١].

ولَخَّص ابن حجر حاصل ما سئل عنه ابن عباس، وأنه عن أربعة مواضع:

الأول: نفي المسألة يوم القيامة وإثباتها.

الثاني: كتمان المشركين حالهم وإفشاؤه.

الثالث: خلق الأرض أو السماء أيهما تقدم.

الرابع: الإتيان بحرف كان الدالة على المضي مع أن الصفة لازمة.

وحاصل جواب ابن عباس عن الأول: أن نفي المساءلة فيما قبل النفخة الثانية وإثباتها فيما بعد ذلك، وعن الثاني: أنهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم، وعن الثالث: أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوة ثم خلق السموات، فسواهن في يومين ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين فتلك أربعة أيام للأرض، وعن الرابع: بأنّ (كان) وإن كانت للماضي لكنها لا تستلزم الانقطاع بل المراد أنه لم يزل كذلك.

(٣٣١) البخاري ٤/ ١٨١٤، وانظر: تفسير الطبري ٤/ ٩٥.

الأصل السابع: المحكم والمتشابه:

قاعدة: الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب:

محكمٌ على الإطلاق، ومتشابهٌ على الإطلاق، ومحكمٌ من وجهٍ متشابهٌ من وجه[٣٣٢].

لأضـــــربٍ ثَلاثَـــــةٍ تَنْقسِـــــمُ آياتُـــهُ العُظْمَـى، فَمِنْهَـا المُحْكَـمُ

وَالْمُتَشَـــابِه، وَأطْلِقَـــنْ بِـــلاَ قَيْـدٍ، ومِـنْ وَجْـهٍ لِـذَيْنِ مُسْـجَلاَ

التعريف المعتبر للإحكام الخاص:

المحكم: هو الواضح الذي لا يفهم منه العارف باللغة إلا معنىً واحداً[٣٣٣].

التعريف المعتبر للمتشابه الخاص:

هو: ما احتمل من التأويل أوجهاً، أو ما لم يعلم معناه بدقة، وإن فهم عموماً[٣٣٤]، كما قال الراغب: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى[٣٣٥].

وقد ورد في القرآن وصف جميع آياته:

- بالإحكام في قوله تعالى:

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس:١، لقمان:٢] وقال: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] فالمراد بإحكامه هنا إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف والتناقض إليه فهو محكمٌ

(٣٣٢) مفردات القرآن / ٧٤٧.
(٣٣٣) الفوز الكبير ص٢٣٥ مع الشرح، حجة الله البالغة ٤٩٢/١.
(٣٣٤) الفوز الكبير ص٢٣٥، مع الشرح، حجة الله البالغة ٤٩٢/١.
(٣٣٥) مفردات القرآن/ ٧٤٧.

كله لأن أخباره محكمة ليس فيها كذب، وأحكامه محكمةٌ ليس فيها ظلم، ومدلولاته محكمةٌ ليس فيها تناقض.

- بالتشابه في قوله تعالى:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[الزمر: ٢٣] أي كلُّه متشابهٌ من حيث إنه يشبه بعضهُ بعضاً في الحُسن والإعجاز فهو يصدِّقُ بعضُهُ بعضاً[٣٣٦].

- بالتشابه للبعض والإحكام للبعض الآخر كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، وهنا يكون معنى الإحكام والتشابه ما سبق في التعريف الاصطلاحي.

من أسباب التشابه:

أولاً: لأن معناه العام واضحٌ أي ليس بطلسمٍ مستغلق، لكن تفصيله وكيفيته، ليس لأحدٍ إلى علمه سبيلٌ مما استأثر الله بعلمه دون خلقه: وذلك كأحداث اليوم الآخر.

ثانياً: رجوع الضمير إلى عدة مراجعٍ محتملة، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ (الفرقان:٥٠) يحتمل رجوع ضمير صرفناه إلى التالي:

١) ما ذكر من الدلائل.
٢) وقيل: إنه يرجع إلى أقرب المذكورات، وهو المطر.
٣) وقيل الضمير راجع إلى القرآن.
٤) وقيل هو راجعٌ إلى الريح[٣٣٧].

(٣٣٦) تفسير اللباب لابن عادل ٩٧١/١، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٠٤/٢.
(٣٣٧) فتح القدير ٤/ ١١٧.

ثالثا: اشتراك كلمةٍ في معنيين أو أكثر نحو: ﴿لَمَسْتُمُ﴾ فإنها مشتركةٌ في الجماع واللمس باليد.

رابعاً: احتمال العطف على القريب والبعيد نحو: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ (المائدة:٦) في قراءة الجر.

أقسام كلمات القرآن وتراكيبه:[٣٣٨]

بيَّن ابن عباس -رضي الله عنهما- ذلك في قاعدةٍ محكمةٍ فقال: "التفسير على أربعة أوجه: وجهٌ تعرفه العرب من كلامها، وتفسيرٌ لا يعذر أحد بجهالته، وتفسيرٌ يعلمه العلماء، وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره"[٣٣٩].

الأول: ما يفهمه العربي سليقةً لأوَّلِ وهلة: مثل ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (العصر:١).

الثاني: الكلمات أو الجمل التي لا يُعذر أحدٌ بجهالتها كالصلاة.

الثالث: الكلمات أو الجمل التي تندرج تحتها المعاني الدقيقة: كما في قصة ابن عباس في تأويل سورة النصر.

الرابع: ما لا يَعلم تفسِيرَه إلا الله تعالى: كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف:٥٣)، ومثل ذلك آيات الحساب والجنة والنار.

تقسيم الراغب الأصفهاني للمتشابه[٣٤٠]:

المتشابه في الجملة ثلاثةُ أضرب: متشابهٌ من جهة اللفظ فقط، ومتشابهٌ من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما:

أولاً: المتشابه من جهة اللفظ ضربان:

أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة: وهو نوعان:

---

(٣٣٨) فصول في أصول التفسير ص١٦.

(٣٣٩) تفسير الطبري ١/ ٧٥.

(٣٤٠) مفردات القرآن / ٧٤٧ بتصرف.

١) متشابهٌ لغرابة اللفظ نحو: الأب، فقيل: سَمَّى اللهُ تعالى المرعَى كُلَّه أَبّاً، وقال مجاهد: الفاكهةُ ما أَكَله الناس والأَبُّ ما أَكَلَتِ الأَنْعامُ فالأَبُّ من المَرْعى للدَّوابّ كالفاكِهةِ للإنسان(٣٤١).

٢) متشابهٌ لأنه مشتركٌ لفظيٌّ كاليد (تطلق على الجارحة وعلى النعمة وعلى القدرة).

والثاني: يرجع إلى جملة الكلام المركب وهو ثلاثة أنواع:

١) لاختصار الكلام نحو: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٣) وسبق المعنى.

٢) لِبَسْطِ الكلام نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(الشورى:١١).

٣) ونوعٌ لنظم الكلام نحو: ﴿أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا﴾ (الكهف: ١ – ٢) تقديره: الكتابَ قيماً ولم يجعل له عوجا.

ثانياً: المتشابه من جهة المعنى: كأوصاف الله تعالى وأوصاف يوم القيامة.

ثالثاً: المتشابه من جهة المعنى واللفظ جميعاً: خمسة أنواع:

١) من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة: ٥).

٢) من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو:﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٣).

٣) من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (آل عمران :١٠٢).

٤) من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها نحو:﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ (البقرة: ١٨٩) فإن من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية.

(٣٤١) الطبري ١٢/ ٤٥١، لسان العرب ١/ ٢٠٤.

٥) من جهة الشروط التي بها يصح الفعل أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح...

أنواع المتشابه عند الراغب من حيث مدى تحديده ومعرفته: ثلاثة أضرب:

الأول: ضرب لا سبيل للوقوف عليه: كوقت الساعة وأشراطها.

الثاني: للإنسان سبيل إلى معرفته: كالألفاظ الغريبة والأحكام الغلقة.

الثالث: وضرب متردد بين الأمرين يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم، وبناء على ذلك فالوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٧) ووصله بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ (آل عمران :٧) كلاهما جائز ولكل واحد منهما وجهه حسبما دل عليه التفصيل المتقدم[٣٤٢].

حكمة وجود المتشابه في القرآن الكريم:

١) أما المتشابه الذي لا سبيل إلى معرفة حقيقته التفصيلية: فهو لابتلاء العقل بالتسليم بما يفوق طاقته.

٢) وأما سر وجود المتشابه الذي يعلم بالتأمل والبحث فالسر ليظهر فضل العلماء.

(٣٤٢) مفردات القرآن / ٧٤٧.

الأصل الثامن: أبرز القواعد اللغوية التفسيرية

المبحث الأول: الحذف:

قاعدة: الأصل عدم الحذف فلا بد من دليل يقوم عليه:

وعَدمُ الْحَذْفِ هُوَ الأصْلُ فَلاَ ... بُـدَّ مِـنَ الـدَّليلِ فِيمَـا اخْتُـزِلاَ

أدلة الحذف (٣٤٣)

١) الدليل العقلي: فتستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محذوف، كقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ (الأحقاف:٢٥) أي مما جرت العادة أن تدمره الرياح.

٢) العادة الشرعية: كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ (البقرة:١٧٣)، أي أكلها.

٣) ذكر المحذوف في مكان آخر كما في قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران:١٣٣) أي كعرض بدليل التصريح به في آية الحديد.

٤) دلالة السياق عليه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أي ابتدائي أو مبتدئي.

(٣٤٣) اعتمد الكاتب على تحرير ما ذكره ابن هشام في مغني اللبيب /٧٨٦، والزركشي في البرهان ٣/ ١٠٩، والسيوطي في الإتقان ٢/ ١٥٥، والموصلي في المثل السائر ٢/ ٧٦، والقزويني في الإيضاح في علوم البلاغة ص٨٥ وص١٨٤.

أقسام الحذف المذكورة في القرآن مما يتعلق بالتفسير:

قسم ابن الأثير أنواع المحذوف إلى: حذف الجمل، وحذف المفردات على تفصيل مستملحٍ **وجعل حذف المفردات على أربعة عشر ضرباً**[٣٤٤]، ومما قاله:

حذف المفردات كقوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ (مريم:٤) أي شعر الرأس.

ومثال حذف الجمل: قوله تعالى ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ (البقرة:٧٣) أي فضربوه ببعضها فحيي فقلنا كذلك يحيى الله الموتى[٣٤٥].

الفاء الفصيحة والحذف:

هي الفاء العاطفة إذ لم يصلح المذكور بعدها لأن يكون معطوفا على المذكور قبلها فيتعين تقدير معطوف آخر بينهما يكون ما بعد الفاء معطوفا عليه، وهذه طريقة السكاكي كقوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾(البقرة:٦٠) أي فضرب فانفجرت[٣٤٦].

المبحث الثاني: التضمين

تعريف التضمين: هو إشراب لفظٍ معنى لفظٍ آخر بقرينةٍ تدل عليه، أي أن يضمن الفعل أو الوصف معنى فعلٍ أو وصفٍ آخر ويشار إلى المعنى المضمّن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول فيحصل في الجملة معنيان[٣٤٧].

(٣٤٤) انظر: المثل السائر ٢/ ٧٦.
(٣٤٥) الإيضاح في علوم البلاغة ص ١٨٣.
(٣٤٦) التحرير والتنوير ١/ ٢٩٧، وانظر: عمدة القاري ١/ ٢٤٣.
(٣٤٧) التحرير والتنوير ١/ ٦٩، وانظر: الإتقان ٢/ ١٤٦.

ففي قول الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ...﴾ (آل عمران:٨٤) فالخطاب للنبي ﷺ مُوَجَّه، وعُدِّيَ فعل الإنزال بـ(على)، لأنه من أعلى إلى أسفل بخلاف آية البقرة ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ...﴾ (البقرة:١٣٦) فإن الخطاب لصحابته ﷺ، ثم لأمته –من بعد- والإنزال لا يكون عليهم؛ لأنه نزل على السيد الرسول الأمين ﷺ، ولذا لم يقل عليهم بل قال إليهم، مع أن الفعل نزل إنما يتعدى بعلى، فعداه هنا بـ(إلى) وذلك ليضمن حرف ﴿إِلَيْنَا﴾ معنى المجاورة، ويجعل فعله يتضمن معنى الإيصال، فليس ثم أعلى ولا أدنى، كأنهم قالوا: آمنا بالله وما أنزل على رسوله مما وصل إلينا. فقد تضمن الفعل: أنزل، والحرف ﴿إِلَيْنَا﴾ ذلك ببلاغةٍ بديعة، وإعجازٍ عظيمٍ، ومن أسراره أنهم جعلوا -بهذا التعبير- ما أنزل على الرسول ﷺ هو ذاته ما وصل إليهم دون ريب...[٣٤٨]. وعلى هذا يمكن كتابة القاعدة التالية:

قاعدة: تتضمن الأفعال معاني أخرى غير ظاهرها إذا عديت بغير حرفها المعتاد.

تَضَمَّنَ الفعلُ إذا عُدِّي بِحَرْ ... فٍ غَيرِ حرْفِهِ مَعانِيَ أُخَرْ

المبحث الثالث: الإطناب

وهو في أصل اللغة مأخوذٌ من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه، واصطلاحاً: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة[٣٤٩].

قاعدة: لا يوجد إطنابٌ في القرآن إلا لفائدة:

وليس في القرآن إطْنابٌ بِلاَ ... فائدة فالوحْيُ مِنْ حَشْوٍ خَلاَ

(٣٤٨) انظر: تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم ص٩٠.
(٣٤٩) انظر: المثل السائر ٢/ ١٢٠.

ولذا لا بد من التماس اللفتة البيانية في الإطناب عند تفسير الآية التي ورد فيها، ومنه نحصل على قاعدة أخرى:

قاعدة: الإطناب في القرآن إيجاز:

يُعتَبَـرُ الإطْنـابُ إيجـازاً فَـلاَ أبْلـغَ أوْ أكْمَـلَ مِمَّـا نَـزَلاَ

ويبين هذه القاعدة الدكتور محمد عبد الله دراز إذ إن القرآن الكريم يستثمر دائماً برفقٍ أقلَّ ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني فيستوي مواضع إجماله التي يسمِّيها الناس مقام الإيجاز ومواضع تفصيله التي يسمُّونها مقام الإطناب، **ولذلك نسمِّيه إيجازاً** كله لأننا نراه في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد ولا يميل إلى الإسراف(٣٥٠).

أقسام الإطناب:

الأول: الإطناب بالبسط: وله مظاهرٌ متعددةٌ منها الإطناب: **مثل** تكثير الجمل التي قد تدخل في أمرٍ عامٍ مذكورٍ في أول الآية: كقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ... ﴾ الآية (البقرة :١٦٤).

الثاني: الإطناب بالزيادة: كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى:١١) فحرف الكاف الذي يعدُّه البعض زائداً للتوكيد محتفظٌ في الحقيقة بقوة دلالته، و"لو سقط منها لسقطت معه دعامة المعنى أو لتهدم ركنٌ من أركانه...لو قيل ليس مثله شيءٌ لكان ذلك نفياً للمِثْلِ المكافئ وهو المِثْلُ التامُّ المماثلة فحسب، إذ إن هذا المعنى هو الذي ينساق إليه الفهم من لفظ المِثلِ عند إطلاقه، وإذا دبَّ إلى النفس دبيب الوساوس والأوهام أنَّ لعل هنالك رتبةً لا تضارع رتبة الألوهية ولكنها تليها وأن عسى أن تكون هذه المنزلة للملائكة

(٣٥٠) النبأ العظيم ص٩٩، ونقله عنه صاحب مناهل العرفان ٢/ ٢٣٥.

والأنبياء أو للكواكب... فكان وضع هذا الحرف في الكلام إقصاء للعالم كله عن المماثلة وعما يشبه المماثلة..."[٣٥١].

المبحث الرابع: الترادف

تعريفه: ما تعدَّد لفظُه واتّحد معناه، وهو في عرف الأصوليين توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيءٍ واحدٍ باعتبارٍ واحدٍ وذلك كالإنسان والبشر والأسد والليث[٣٥٢].

قاعدة: الأصل عدم الترادف بين الكلمات[٣٥٣]:

وعَدَمُ الترادُفِ الأصْلُ كَمَا مِن "وَهَنُواْ" و"ضَعُفُوا" قَدْ فُهِمَا

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ﴾ **(آل عمران:١٤٦) ففرق بين الوهن والضعف: مع أنهما** "متقاربان تقارباً قريباً من الترادف؛ فالوهن قلة القدرة على العمل وعلى النهوض في الأمر وفعله، والضعف بضم الضاد وفتحها ضد القوة في البدن"[٣٥٤].

قاعدة: "الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن: فإما نادرٌ وإما معدوم"[٣٥٥]

ولُغَةً قَلَّ وَفِي الذِّكْرِ نَدَرْ وقِيلَ مَعْدُومٌ بِوَحْيٍ مُسْتَطَرْ

ومن الأمثلة: الخشية، والخوف: ذكر علماء التفسير أقوالاً تدل على التباين بينهما:

(٣٥١) هذا التحرير البديع لمعنى الكاف هو من مبتكرات الدكتور الجليل محمد عبد الله دراز رحمه الله في النبأ العظيم ص٩٩ بتصرف، ونقله عنه صاحب مناهل العرفان ٢/ ٢٣٦.

(٣٥٢) إجابة السائل شرح بغية الآمل ص ٢٦٤، وانظر: إرشاد الفحول ص٢٩، المحصول ٣٤٧/١.

(٣٥٣) انظر: الإبهاج ١/ ٢٤٢، المحصول ٣٥٢/١، المزهر في علوم اللغة ١/ ٣١٩.

(٣٥٤) التحرير والتنوير ٢٤٤/٣.

(٣٥٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٤١.

١) الخوف يتعلق بالمكروه وبترك المكروه تقول خفت زيداً كما قال تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ (النحل:٥٠) وقال سبحانه﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ (الرعد:٢١)، والخشية تتعلق بمنزل المكروه، ولهذا قال ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ (الرعد:٢١)[٣٥٦].

٢) الخوف تألُّم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات، والتقصير في الطاعات. والخوف: ظن وقوع المضرة من شيء. كما في قوله تعالى ﴿إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ (البقرة:٢٢٩)[٣٥٧]، وهو يحصل لأكثر الخلق وإن كانت مراتبه متفاوتة، وأما الخشية: خوفٌ بتعظيم المخوف منه، وهيبته وخوف الحجب عنه، وهذه حالة لا تحصل إلا لمن اطلع على حال الكبرياء وذاق لذة القرب، ولذا قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر:٢٨)[٣٥٨].

المبحث الخامس: الالتفات

هو: تحويل أسلوب الكلام من وجهٍ إلى آخر[٣٥٩]، ويسمى أيضاً (شجاعة العربية).

أقسامه: ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الالتفات من طريق إلى آخر من الطرق الثلاثة مثل:

(٣٥٦) الفروق ص٥٥.
(٣٥٧) انظر: الإتقان ١/ ٥٦٩.
(٣٥٨) الفروق ص٥٥.
(٣٥٩) أصول في التفسير ص٣٥.

أ) الالتفات من الغيبة إلى الخطاب: كقوله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة:٢) فابتدأ بالكلام غائباً ثم تحول إلى الخطابِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٤).

ب) الالتفات من الخطاب إلى الغيبة فكقوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا . . .﴾ (يونس:٢٢).

القسم الثاني: الالتفات من الفعل الحاضر إلى فعل الأمرِ:

كقوله تعالى ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (هود:٥٤) فإنه قال ﴿أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟﴾ (هود:٥٤) ولم يقل وأشهدكم.

القسم الثالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبلِ وعن المستقبل بالماضي:

كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (الحج:٢٥).

بدع التفسير في اللغة:

قد يذهب بعض اللغويين مذهباً في تفسير مفردة قرآنية أو تركيب قرآني فينكر عليه آخر إنكاراً شديداً، وقد يكون الإنكار في محله، وقد يجانبه الصواب، وسمى الزمخشري التفسير اللغوي الذي جانبه الصواب: "بدع التفسير" كقوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ (الإسراء:٧١) "ومن بدع التفاسير: أنَّ الإمامَ جَمْعُ أُمّ وأن الناس يُدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا. وليت شعري أيهما أبدع؟ أصحة لفظه أم بهاء حكمته؟"(٣٦٠).

(٣٦٠) الكشاف ٣٦٩/٢.

الفصل الرابع

من أهم قواعد التفسير التي تكثر الحاجة إليها

الفصل الرابع:

من أهم قواعد التفسير التي تكثر الحاجة إليها

١) أركان التفسير خمسة: معرفة المنُزِل، والمُنزَل، ومضمون التنزيل، وملابسات النزول (السياق التاريخي)، والسياق الترتيبي(حافات السياق: السِباق واللِّحاق).

٢) النكرة في سياق النفي، أو سياق النهي، أو الاستفهام، أو سياق الشرط تفيد العموم: كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

٣) يُحَكَّمُ الرسمُ عند التنازع: كقوله - تعالى-: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦] قيل: (لا) نافية، وقيل: ناهية. والصواب الأول؛ لأنها لو كانت ناهية لجزم الفعل.

والنَّكِـرَاتُ فِـي سِـياقِ النَّفْـيِ ... والشَّرْطِ الاِسْتِفْهامِ ثُمَّ النَّهْيِ

تُفيدُ لِلْعُمُومِ، والرَّسْمُ حَكَمْ ... عِنْدَ التَّنازُعِ إذا المعْنَى انْبَهَمْ

٤) المفرد إذا أضيف يفيد العموم: كقوله -تعالى-: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى: ١١]. وقوله:﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

والمفـرَدُ المُضـافُ لِلْعُمـومِ ... يُفيـدُ نحـوُ نِعْمـةِ القَيُّـومِ

٥) **يحمل العام على العموم حتى يرد دليل التخصيص:** كقوله-تعالى-: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣] قيل: آدم وولده، وقيل: إبراهيم وولده، وقيل: بل هي عامةٌ في كل والدٍ وولده. وهو الصحيح عند ابن جرير قال: " لأن الله عمَّ كلَّ والدٍ وما ولد. وغير جائزٍ أن يخص ذلك إلا بحجةٍ يجب التسليم لها من خبرٍ أو عقل، ولا خبر بخصوص ذلك"[٣٦١].

(٣٦١) الطبري ٥٨٦/١٢.

واحْمِلْ عَلَى العُمومِ مَا عَمَّ إلَى دَلِيلِ تَخْصِيصٍ لَهُ مُفَصِّلاَ

٦) تفسير الآية بضرب المثال لا يفيد الحصر في الاستدلال:

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ [النحل:٤١].

فقد ذكرت عدة تفاسير في حسنة الدنيا المذكورة هنا كما قال ابن كثير: "قال ابن عباس والشعبي، وقتادة: المدينة. وقيل: الرزق الطيب، قاله مجاهد"، ومال الطبري إلى الترجيح مع أنه لا مبرر لذلك؛ إذ كلها أمثلة تدخل ضمن حسنة الدنيا المذكورة في هذه السورة، ولذا قال ابن كثير بعد ذكره للقولين: "ولا منافاة بين القولين، فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيرًا منها في الدنيا، فإن من ترك شيئًا لله عوضه الله بما هو خير له منه، وكذلك وقع فإنهم مكن الله لهم في البلاد، وحكمهم على رقاب العباد، فصاروا أمراء حكاماً، وكل منهم للمتقين إماما"[٣٦٢]، ومثل ذلك الأقوال المتعددة في حسنة الدنيا الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة :٢٠١]، وذكر فعل (نُبَوِّئُ) في النحل لا يقتضي التخصيص بالضرورة، وقد قال الطبري في موضع البقرة: "وَقَدْ تَجْمَعُ الْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْعَافِيَةَ فِي الْجِسْمِ، وَالْمَعَاشِ، وَالرِّزْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالْعِلْمَ، وَالْعِبَادَةَ"[٣٦٣].

وبعض هذه القواعد سماها ابن عاشور: عادات القرآن وفيها يتعرف المفسر عادات القرآن من نظمه كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: كل كأسٍ في القرآن المراد بها الخمر[٣٦٤]، ومنها قول ابْن عُيَيْنَةَ: مَا سَمَّى اللَّهُ

(٣٦٢)تفسير ابن كثير ٥٧٢/٤.
(٣٦٣) تفسير الطبري ٥٤٧/٣.
(٣٦٤) للتوسع ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/١، ١/ ٦٩.

تَعَالَى مَطَرًا فِي الْقُرْآنِ إِلاَّ عَذَابًا وَتُسَمِّيهِ الْعَرَبُ الْغَيْثَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨][٣٦٥].

أنواع القواعد التفسيرية: هناك نوعان من القواعد التفسيرية:

الأول: قواعد عامة تساعد القارئ على الفهم المنضبط للقرآن الكريم... وسبق التمثيل لها.

الثاني: قواعد ترجيحية يتم بها معرفة الراجح من المرجوح في الأقوال التفسيرية التي لا يمكن الجمع بينها؛ ومن القواعد الترجيحية:

١) الأصل الجمع، والترجيح لا يُصار إليه إلا عند التنازع:

ومُقْتَضَى التَّرْجيح لا يُتَّبَعُ إلاّ إذَا مَا حَصَلَ التَّنَازُعُ

وذلك بأن عارض بعضُها نصاً أو إجماعاً أو تناقضت الأقوال تناقضاً كلياً.

مثال على معارضة النص: ما روي عن سعيد بن المسيب: (ما سكر آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن سقته حواء من الخمر حتى إذا سكر قادته إليها فأكل)[٣٦٦] فهذا معارض لقوله-تعالى-: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ (الصافات: ٤٧)، والأثر لا يعرف.

مثال على معارضة الإجماع: من ادعى جواز الجمع بين تسع حرائر مستدلاً بقوله: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣] فهو خلاف إجماع الأمة.

مثال الجمع: قوله -تعالى -:﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ (عبس:٢٠) قيل: طريق خروجه من بطن أُمِّه لدلالة السياق، وقيل: طريق الخير والشر. لقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣)، والقولان صحيحان غير متنافيين.

---

(٣٦٥) البخاري ٦/٧٧.

(٣٦٦) القرطبي ١/ ٣٣٩.

فليس لمجرد اختلاف الأقوال الوجيهة يتم الترجيح بل لا بد من التنازع بين الأقوال أو التناقض الكلي أو معارضة النص كما سبق أما مجرد الاختلاف بين الأقوال الوجيهة فلا يتم بموجبه الترجيح بل الجمع بينها أولى فيُرَدُّ القول في حالين: عند تعارض الأقوال تعارضاً تاماً، أو إذا كانت بعض الأقوال غير وجيهة لمعارضتها للنص أو الإجماع، كما في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ (الطارق: ٨) في مرجع الضمير في (رجعه) خمسة أقوال: فقالوا يعود الضمير على:

١) الماء أي: إن الله على رد النطفة في الموضع التي خرجت منه لقادر.
٢) الماء ولكن المعنى: إنه على حبس ذلك الماء لقادر.
٣) الإنسان، والمعنى: إنه على رد الإنسان ماءً كما كان قبل أن يخلقه منه قادر.
٤) الإنسان، ولكن المعنى: قادرٌ على رجع الإنسان من حال الكبر إلى حال الصغر.
٥) الإنسان، ولكن المعنى: إنه على إحيائه بعد مماته لقادر، ورجحه الطبري لدلالة السياق عليه في قوله ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق:٩][٣٦٧]، ولكن هذه التفاسير تصلح لأن تكون مثالاً على الجمع لعدم التنافي بينها.

٢) السياق يبيّن المنساق:

كقوله -تعالى-: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ (المجادلة: ٧) أي بعلمه وسمعه، قالوا: لأن الله افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم كما يقول الدارمي[٣٦٨].

٣) قاعدة: التأسيس أولى من التأكيد:

فأن يحمل كلام الله على معنى جديدٍ خيرٌ من حمله على معنى تأكيدي، وقد نقل هذه القاعدة جمع من المفسرين، ومن أمثلة ذلك:

---

(٣٦٧) الطبري ٥٣٦/١٢.
(٣٦٨) الرد على الجهمية ص٤٣، ونقله عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٧، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ١٣٣.

المثال الأول: في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]حيث قال الشوكاني: "والتسبيح في كلام العرب: التنزيه، والتبعيد من السوء على وجه التعظيم، والتقديس: التطهير، أي: ونطهرك عما لا يليق بك مما نسبه إليك الملحدون، وافتراه الجاحدون. وذكر في الكشاف: أن معنى التسبيح، والتقديس واحد، وهو: تبعيد الله من السوء، وأنهما من سبح في الأرض والماء، وقدّس في الأرض إذا ذهب فيها، وأبعد. وفي القاموس، وغيره من كتب اللغة ما يرشد إلى ما ذكرناه، والتأسيس خير من التأكيد خصوصاً في كلام الله سبحانه"(٣٦٩).

المثال الثاني: قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: ١٦٨] قال صاحب المنار: " الْحَلَالُ: هُوَ غَيْرُ الْحَرَامِ الَّذِي نُصَّ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[الأنعام: ١٤٥] فَمَا عَدَا هَذَا فَكُلُّهُ مُبَاحٌ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ طَيِّبًا؛ أَيْ غَيْرَ خَبِيثٍ . وَفَسَّرَ (الْحَلَالُ) الطَّيِّبَ بِالْحَلَالِ - عَلَى أَنَّهُ تَأْكِيدٌ - أَوْ بِالْمُسْتَلَذِّ، وَالأَوَّلُ لا مَحَلَّ لَهُ وَالتَّأْسِيسُ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّأْكِيدِ..-إلى أن قال- الطَّيِّبَ مَا لا يَتَعَلَّقُ بِهِ حَقُّ الْغَيْرِ وَهُوَ الظَّاهِرُ؛ لأَنَّ الْمُرَادَ بِحَصْرِ الْمُحَرَّمِ فِيمَا ذُكِرَ الْمُحَرَّمُ لِذَاتِهِ الَّذِي لا يَحِلُّ إلا لِلْمُضْطَرِّ، وَبَقِيَ الْمُحَرَّمُ لِعَارِضٍ فَتَعَيَّنَ بَيَانُهُ وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ حَقُّ الْغَيْرِ وَيُؤْخَذُ بِغَيْرِ وَجْهٍ صَحِيحٍ، كَمَا يَكُونُ فِي أَكْلِ الرُّؤَسَاءِ مِنَ الْمَرْءُوسِينَ بِلا مُقَابِلٍ إلا أَنَّهُمْ رُؤَسَاؤُهُمُ الْمُسَيْطِرُونَ عَلَيْهِمْ، وَكَذَلِكَ أَكْلِ الْمَرْءُوسِينَ بِجَاهِ الرُّؤَسَاءِ، فَإِنَّ كُلا مِنْهُمَا يَمُدُّ الآخَرَ لِيَسْتَمِدَّ مِنْهُ فِي غَيْرِ الْوُجُوهِ الْمَشْرُوعَةِ الَّتِي يَتَسَاوَى فِيهَا جَمِيعُ النَّاسِ، وَيَخْرُجُ بِذَلِكَ الرِّبَا وَالرَّشْوَةُ وَالسُّحْتُ وَالْغَصْبُ وَالْغِشُّ وَالسَّرِقَةُ فَكُلُ ذَلِكَ خَبِيثٌ، وَكَذَا مَا عَرَضَ لَهُ الْخُبْثُ بِتَغَيُّرِهِ كَالطَّعَامِ الْمُنْتِنِ"(٣٧٠).

المثال الثالث: قال الطاهر بن عاشور في قوله تعالى ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾ [ق: ٣١] "والإزلاف: التقريب مشتق من الزلف بالتحريك وهو

(٣٦٩) فتح القدير للشوكاني ٦٧/١.
(٣٧٠) تفسير المنار ٢/ ٧١.

القربة، وقياس فعله أنه كفرح كما دل عليه المصدر ولم يرو في كلامهم، أي جعلت الجنة قريبا من المتقين، أي أدنوا منها. والجنة موجودة من قبل ورود المتقين إليها فإزلافها قد يكون بحشرهم للحساب بمقربةٍ منها كرامةً لهم عن كلفة المسير إليها، وقد يكون عبارة عن تيسير وصولهم إليها بوسائل غير معروفةٍ في عادة أهل الدنيا.

وقوله ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يرجح الاحتمال الأول، أي غير بعيد منهم وإلا صار تأكيدا لفظيا لـ ﴿أُزْلِفَتِ﴾ كما يقال: عاجل غير آجل، وقوله ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه:٧٩] والتأسيس أرجح من احتمال التأكيد"[٣٧١].

إلا أن التأكيد وزيادة الإيضاح قد يكون مقدماً على التأسيس لحكمٍ بالغة كما في قوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال: ٢٤] فإن (إذا دعاكم لما يحييكم) هنا إيضاحٌ وليس تقييداً كما هو معلوم.

خاتمة: شروط المفسر وآدابه[٣٧٢]:

أولاً: الالتزام بمصادر التفسير الخمسة المذكورة في أول الكتاب مما يؤدي إلى أن يؤول الكلام تأويلاً صحيحاً.

عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء: قال كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء فقال زياد بن لبيد الأنصاري كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنَقرَأنه ولنُقرِئنه نساءنا وأبناءنا فقال ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم؟ قال جبير فلقيت عبادة بن الصامت قلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قاله أبو الدرداء قال: صدق أبو الدرداء إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس؟ الخشوع يوشك أن تدخل مسجد جماعةٍ فلا ترى فيه رجلاً خاشعا[٣٧٣]، "لأنَّ العلم قسمان:

---

(٣٧١)التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٦٥.

(٣٧٢) الإتقان في علوم القرآن ٤٦٧/٢، مباحث في علوم القرآن ص٣٤٣.

(٣٧٣) الترمذي ٣١/٥، وقال: "هذا حديث حسن غريب".

أحدهما: ما كان ثمرتُه في قلبِ الإنسان، وهو العلمُ بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله المقتضي لخشيتِهِ، ومهابتِه، وإجلالِه، والخضوع له، ولمحبَّتِه، ورجائِه، ودعائه، والتوكُّل عليه، ونحو ذلك، فهذا هو العلمُ النافع، كما قال ابنُ مسعود: إنَّ أقواماً يقرءون القرآن لا يُجاوُزِ تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب، فرسخ فيه نفع"[٣٧٤]، وعن عقبة بن عامر الجهني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((هلاك أمتي في الكتاب واللبن قالوا يا رسول الله ما الكتاب واللبن قال يتعلمون القرآن فيتأولونه على غير ما أنزل الله عز و جل ويحبون اللبن فيَدعَون الجماعات والجمع ويبدون))[٣٧٥].

ثانياً: أن يوجد عنده الحد العلمي اللازم من العلوم التي ذكرها الداني في قصيدته المنبهة في قوله:

من مـــقرئ منـــتصب إمام	وعالم بـالنـــحو ذي تـــمام
وماهر في العلـــم بـــالتأويل	وقدوة في محـــكم التـــنزيل
وفي العقـــود وأصـــول الدين	والفقـــه والحديـــث ذي تمكين
وباصرٍ بالنـقـل والـــروايـــة	مشـــــهر بالـــفـهم والدرايـة
وضابطٍ للأحـــرف المشهورة	وحافظ للـــطرق المنـــشورة
وصـــادق اللهجـة غير متهم	لسنن الماضيين قبل ملـــتزم

ومن أبرز العلوم التي يجب أن يكون المفسِّر على علم بها العلوم العشرة التي سبق ذكرها في التفسير بالرأي.

ثالثاً: "صحة الاعتقاد ولزوم سنة الدين، فإن من كان مغموصاً عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين، ثم لا يؤتمن من الدين على الإخبار عن عالم فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى، ولأنه لا يؤمن إن كان متهما، بالإلحاد أن يبغي الفتنة ويغرّ الناس بِلَيِّه وخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة وإن كان متهماً بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته كدأب القدرية، فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصوده منه الإيضاح الساكن ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى"، وقد قال معاذ بن جبل: (إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ مَا لِلنَّاسِ لاَ يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِي حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ

(٣٧٤) جامع العلوم والحكم ص٣٤٣.

(٣٧٥) أحمد بن حنبل ١٥٥/٤، وحسنه الأرناؤوط، وأورده الألباني في الصحيحة برقم٢٧٧٨.

فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلاَلَةٌ وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلاَلَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ. قَالَ قُلْتُ لِمُعَاذٍ مَا يُدْرِينِي رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلاَلَةِ وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ قَالَ بَلَى اجْتَنِبْ مِنْ كَلاَمِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهِرَاتِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا مَا هَذِهِ وَلاَ يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا)[٣٧٦].

رابعاً: صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد:فقد قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى عرضٍ يصده عن صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله.

خامساً: عدم الغرور أو الكبر اللذين يفضيان إلى رد الحق وغمط الناس فعن عمر ابن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار، وحتى يخاض بالخيل في سبيل الله، ثم يأتي قوم يقرؤون القرآن، فإذا قرأوه قالوا: قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا؟ فمن أعلم منا؟» ثم التفت إلى أصحابه فقال: «هل ترون في أولئك من خير؟» قالوا: لا، قال: «فأولئك منكم، وأولئك من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار»[٣٧٧].

وصلى الله تعالى وسلم على نبينا السيد العبد المنيب محمدٍ، وعلى آله وصحبه عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، والحمد لله رب العالمين.

(٣٧٦) أبو داود ٣٣١/٤، وصححه الألباني.

(٣٧٧) الطبراني في الأوسط ٢٢١/٦، ورواه أبو يعلى ٥٦/١٢ عن العباس، وأورده الألباني في الصحيحة برقم٣٢٣٠.

أهم المراجع

(رتبت هجائياً مع إهمال ال التعريف)

١) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم: (القنوجي) صديق بن حسن خان ت ١٣٠٧هـ، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.
٢) الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي: (السبكي) علي بن عبد الكافي السبكي ت٧٥٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤٠٤هـ.
٣) الإتقان في علوم القرآن: (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ، المكتبة الثقافية، بيروت.
٤) الإحكام في أصول الأحكام: (ابن حزم) علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد ت٤٥٦هـ، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.
٥) إحياء علوم الدين: (الغزالي) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ت ٥٠٥هـ، دار المعرفة، بيروت.
٦) الإحكام في أصول الأحكام: (الآمدي) علي بن محمد الآمدي أبو الحسن ت٦٣١هـ، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي،بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
٧) أدب الكاتب: (ابن قتيبة) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط٤، ١٩٦٣م.
٨) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.
٩) أساس البلاغة: (الزمخشري) جار الله محمود بن عمر الخوارزمي أبو القاسم ت٥٣٨هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م.
١٠) أسباب النزول: (الواحدي) أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري ت٤٦٨هـ، م الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
١١) أسد الغابة في معرفة الصحابة: (ابن الأثير) عز الدين علي بن محمد الجزري، أبو الحسن (٥٥٥هـ - ٦٣٠هـ)،دار الفكر

١٢) أسرار التكرار في القرآن: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ط٢، ١٣٩٦.
١٣) إرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات: محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
١٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول: (الشوكاني) محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت.
١٥) إشكالية تحديد المصطلحات في الدراسات القرآنية: الدكتور مساعد الطيار منشور في شبكة التفسير والدراسات القرآنية.
١٦) الإصابة في تمييز الصحابة: (ابن حجر) شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني أبو الفضل ت٨٥٢هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت،ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٧) أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٠٨٦م.
١٨) أصول في التفسير: محمد بن صالح العثيمين، منزل في موقعه الخاص.
١٩) أصول السرخسي: (السرخسي) محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر ت٤٩٠هـ، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٢هـ.
٢٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (الشنقيطي) محمد الأمين بن محمد المختار، عالم الكتب، بيروت.
٢١) الاعتصام: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي الغرناطي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
٢٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين: (ابن القيم) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُرعي أبو عبد الله ت٧٥١هـ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
٢٣) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ت٧٢٨هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ.
٢٤) الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات: خير الدين نعمان بن أبي الثناء السيد محمود المفتي المفسر ابن السيد عبد الله أبو البركات البغدادي من بيت العلم الشهير بالآلوسي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤.
٢٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): (البيضاوي) ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبوالخير ت٦٨٥هـ:، تحقيق عبد القادر عرفات حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٦) إيثار الحق على الخلق: (الوزير) محمد بن إبراهيم الوزير ت ٨٤٠هـ، دار الكتب العلمية -بيروت.
٢٧) الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين القزويني، دار إحياء العلوم –بيروت، ط٤، ١٩٩٨.
٢٨) البحر المحيط: (أبو حيان) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي (٧٤٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ -١٩٩٠م.
٢٩) البحر المحيط: (الزركشي) بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي ت٧٩٤هـ، قام بتحريره عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: د. عمر سليمان الأشقر - ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، دار الصفوة.
٣٠) بحوث في أصول التفسير: د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط١،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: (الكاساني) علاء الدين ت٥٨٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت،ط٢، ١٩٨٢.
٣٢) بدائع الفوائد: (ابن القيم) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦ – ١٩٩٦.
٣٣) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: (الشوكاني) محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة-بيروت.
٣٤) البرهان في علوم القرآن: (الزركشي) بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي ت٧٩٤هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.
٣٥) بلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٨هـ.
٣٦) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٣.
٣٧) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان: طاهر الجزائري الدمشقي (١٢٦٨هـ - ١٣٢٨هـ)، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.
٣٨) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت-لبنان،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٩) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: (المباركفوري) محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العُلا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٤٠) تدريب الراوي في تقريب النواوي: (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل ت٩١١هـ، حققه وراجع أصوله: عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر، دار نشر الكتب الإسلامية، ط٤.
٤١) تطور تفسير القرآن (قراءة جديدة): (دكتور) محسن عبد الحميد، جامعة بغداد (بقية المعلومات لم تذكر).
٤٢) التعريفات: (الجرجاني) علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
٤٣) تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط١.
٤٤) تفسير القرآن العظيم: (ابن كثير) عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء ت٧٧٤هـ تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، إعداد: مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي، أعد فهارسها: رياض عبد الله عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤١٧- ١٩٩٧م.
٤٥) التفسير النبوي للقرآن الكريم: (دكتور) سلمان العودة، الكتاب منزل في موقع الإسلام اليوم الذي يشرف عليه المؤلف.
٤٦) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (سورة البقرة): عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٤٧) التفسير والمفسرون: (دكتور) محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٦، ١٤١٦هـ-١٩٩٥.
٤٨) تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (النسفي) عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي.
٤٩) تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير: (ابن حجر) شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل ت٨٥٢هـ: تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٥٠) تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم (دراسة تأصيلية): (دكتور) عبد السلام مقبل المجيدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٥١) توجيه النظر إلى أصول الأثر: طاهر الجزائري الدمشقي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٥٢) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية - المدينة المنورة.
٥٣) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: (السيوطي) عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ١٣٨٩ – ١٩٦٩.
٥٤) تهذيب التهذيب: (ابن حجر) شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل ت٨٥٢هـ، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م.
٥٥) التوقيف على مهمات التعاريف: (المناوي) محمد عبد الرؤوف المناوي ت١٠٣١هـ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، بيروت ، دمشق،ط١، ١٤١٠هـ.
٥٦) التيسير شرح منظومة التفسير للشيخ عبد العزيز الزمزمي: محمد يحيى بن الشيخ أمان المدرس بمدرسة الفلاح الملكية، مطبعة مصطفى بن محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
٥٧) الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب: محمد ناصر الدين الألباني، غراس للنشر والتوزيع، ط١.
٥٨) جامع البيان في تأويل القرآن: (الطبري) محمد بن جرير الطبري أبو جعفر ت٣١٠هـ، ط٣، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٥٩) جامع التحصيل في أحكام المراسيل: أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب – بيروت، ط٢، ١٤٠٧ – ١٩٨٦.
٦٠) الجامع الصحيح سنن الترمذي: (الترمذي) محمد بن سؤرة السلمي الترمذي أبو عيسى ت٢٧٩هـ، راجعه: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٦١) الجامع لأحكام القرآن: (القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٦٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: (الخطيب) أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر ت٤٦٣هـ، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.
٦٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: (ابن القيم) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط دار العروبة – الكويت، ط٢، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

٦٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. علي حسن ناصر،د. عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
٦٥) جواهر البيان في تناسب سور القرآن: أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني، مكتبة القاهرة، مطبعة محمد عاطف وسيد طه.
٦٦) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: (الثعالبي) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري، دار القلم، بيروت.
٦٧) جواهر القرآن: (الغزالي) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ت ٥٠٥هـ، تحقيق: د. محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٦٨) الحجة في القراءات السبع: (ابن خالويه) الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله ت٣٧٠هـ، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت،ط٤، ١٤٠١هـ.
٦٩) حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر: شيث بن إبراهيم بن حيدرة أبو الحسن، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٥.
٧٠) خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط١، ١٩٨٧.
٧١) الدر المنثور: (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال ت٩١١هـ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
٧٢) درء تعارض العقل والنقل: (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ.
٧٣) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٢، ١٤٠٤.
٧٤) دلائل الإعجاز في علم المعاني: (الجرجاني) عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجاني، صحح أصله الأستاذ محمد عبده، والأستاذ محمد محمود التركزي، وقف على تصحيح طبعه: السيد محمد رشيد رضا - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار المعرفة - بيروت.
٧٥) ذم التأويل: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٦.
٧٦) الرد على الجهمية: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: علي محمد ناصر الفقيهي المكتبة الأثرية، باكستان.

٧٧) الرسالة: (الشافعي) محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي ت٢٠٤هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر القاهرة، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
٧٨) رسالتان في اللغة: (الرماني) أبو الحسن علي بن عيسى، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان، ١٩٨٤م.
٧٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: (الآلوسي) محمود شكري البغدادي ت١٢٧٥هـ، دار الفكر، بيروت، قرأه وصححه: محمد حسين العرب، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.
٨٠) روضة المحبين ونزهة المشتاقين: (ابن القيم) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٢ – ١٩٩٢.
٨١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي أبو منصور، تحقيق: د. محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط١، ١٣٩٩.
٨٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام: (الأمير) محمد بن إسماعيل (ت١١٨٢هـ)، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي، مكتبة عاطف.
٨٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: (الألباني) محمد ناصر الدين (ت١٤٢١هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٨٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
٨٥) سلم المطالع لدرك الكوكب الساطع شرح الكوكب الساطع للسيوطي: (اليعقوبي) محمد الحسن بن أحمد الخديم اليعقوبي الجوادي المالكي الموريتاني، حققه أبو محمد بن محمد الحسن، طبع على نفقة السيد محمد ولد الجيلاني اليعقوبي،ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٨٦) سنن ابن ماجة: (ابن ماجة) محمد بن يزيد القزويني أبو عبد الله ت٢٧٥هـ، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
٨٧) سنن أبي داود: (أبو داود) سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢هـ - ٢٧٥هـ)، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد.
٨٨) السنة: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، تحقيق: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
٨٩) سنن الدارقطني: (الدارقطني) علي بن عمر بن أحمد البغدادي أبو الحسن ت٣٨٥هـ، السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٩٠) سنن الدارمي: (الدارمي) عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد (١٨١هـ-٢٥٥هـ)، تحقيق: أحمد فواز زمرلي، خالد السبع العلمي، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.
٩١) سنن سعيد بن منصور: (الخراساني) سعيد بن منصور أبو عثمان ت ٢٢٧هـ تحقيق: د.سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد.
٩٢) السنن الكبرى: (النسائي) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ت٣٠٣هـ، مراجعة: د.عبد الغفار سليمان البنداري - سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ -١٩٩١م.
٩٣) السنن الكبرى: (البيهقي) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر ت٤٥٨هـ، مراجعة: محمد عبد القادر عطا، ١٩٩٤م-١٤١٤هـ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة.
٩٤) سيبويه والقراءات دراسة تحليلية معيارية: د.أحمد مكي الأنصاري، توزيع دار المعارف ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
٩٥) شرح النووي على صحيح مسلم: (النووي) محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا ت ٦٧٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط٢، ١٣٩٢هـ.
٩٦) شعب الإيمان، (البيهقي) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر ت٤٥٨هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٠هـ.
٩٧) صحيح البخاري: (البخاري) محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله، (١٩٤هـ - ت٢٥٦ هـ)، مراجعة د. مصطفى ديب البغا، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.
٩٨) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ت٣٥٤هـ: (ابن حبان) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت٣٥٤هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٩٩) صحيح ابن خزيمة: (ابن خزيمة) محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي أبو بكر ت٣١١هـ، مراجعة: د. محمد مصطفى الأعظمي (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م)، المكتب الإسلامي –بيروت.
١٠٠) صحيح مسلم: (مسلم) بن الحجاج النيسابوري أبو الحسين ت٢٦١هـ، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
١٠١) الصفدية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٠٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: (ابن القيم) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، ط٣، ١٤١٨ – ١٩٩٨.
١٠٣) الطبقات الكبرى: (ابن سعد) محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر بيروت.
١٠٤) طيبة النشر في القراءات العشر: (ابن الجزري) شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي أبو الخير ت ٨٣٣هـ، ضبطه وصححه وراجعه: محمد تميم الزعبي، توزيع مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة.
١٠٥) علوم الحديث: (ابن الصلاح) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري: مكتبة الفارابي، ط١، ١٩٨٤م.
١٠٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود: (العظيم آبادي) محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
١٠٧) العون الكبير شرح الفوز الكبير في أصول التفسير: (البالنبوري) سعيد أحمد بن محمد يوسف، المكتبة الوحيدية بديوبند-الهند.
١٠٨) كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.
١٠٩) غريب الحديث:، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٦هـ، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان.
١١٠) الفائق في غريب الحديث، (الزمخشري) جار الله محمود بن عمر الخوارزمي أبو القاسم ت٥٣٨هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ط٢، توزيع دار الباز.
١١١) الفتاوى الكبرى، (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ت٧٢٨هـ، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٦هـ.
١١٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (ابن حجر) شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني أبو الفضل ت٨٥٢هـ، حقق أصولها: عبد العزيز بن باز، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤١٠هـ -١٩٨٩م، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ -١٩٨٩م.
١١٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: (الشوكاني) محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت.
١١٤) فتح المغيث شرح ألفية الحديث: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ.

١١٥) الفروق في اللغة: (العسكري) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبو هلال ت بعد٣٩٥هـ، لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق-بيروت، ط٣، ١٤٠٣،٥هـ-١٩٨٣م.
١١٦) فصول في أصول التفسير: مساعد بن سليمان الطيار، تقديم د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١١٧) فضائل القرآن: (الهروي) القاسم بن سلام أبو عبيد ت٢٢٤هـ، حققه: مروان العطية، محسن خرابة، وفاء تقي الدين، دار ابن كثير-دمشق، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١١٨) الفوز الكبير في أصول التفسير: (الدهلوي) ولي الله قطب الدين أحمد بن عبد الرحيم العمري (١١٤هـ-١١٧٦هـ)،المكتبة الوحيدية بديوبند، الهند.
١١٩) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧.
١٢٠) فيض القدير شرح الجامع الصغير، (المناوي) محمد عبد الرؤوف المناوي ت١٠٣١هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
١٢١) في ظلال القرآن الكريم:سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٦، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٢٢) في الطريق إلى ثقافتنا: (أبو فهر) محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة وجدة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٢٣) قانون التأويل: (ابن العربي) أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي (ت٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
١٢٤) قفو الأثر في صفوة علوم الأثر: رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٨هـ.
١٢٥) قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن: مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم - الكويت، ١٤٠٠هـ.
١٢٦) قواعد التفسير جمعاً ودراسة: (دكتور): خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، الجيزة، مصر، ط١، ١٤٢١هـ.
١٢٧) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع: (السخاوي) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي(٩٠٢هـ)، حققه بشير محمد عون، مكتبة المؤيد، الرياض،ط٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٢٨) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: (ابن أبي شيبة) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي أبو بكر ت٢٣٥هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض،ط١، ١٤٠٩هـ.
١٢٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (الزمخشري) جار الله محمود بن عمر الخوارزمي أبو القاسم ت٥٣٨هـ، دار المعرفة، بيروت.
١٣٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: (حاجي خليفة) مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ت ١٠٦٧هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٢م - ١٤١٣هـ.
١٣١) الكليات: (الكفوي) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ت١٠٩٤هـ، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٣٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
١٣٣) لا إنكار في مسائل الخلاف: (دكتور) عبد السلام مقبل المجيدي، كتاب الأمة، سلسلة شهرية تصدر عن وزارة الأوقاف القطرية، العدد٩٤.
١٣٤) لسان العرب، (ابن منظور) محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي - بيروت.
١٣٥) لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.
١٣٦) اللمع في أصول الفقه: (الشيرازي) إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي أبو إسحاق ت٤٧٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١٣٧) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد ابن محمد بن عبدالكريم الموصلي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت- ١٩٩٥م.
١٣٨) المجتبى من السنن، (النسائي) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ت٣٠٣هـ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، ط٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.
١٣٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية: (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ت٧٢٨هـ، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، دار عالم الكتب- الرياض، ١٤٢١ - ١٩٩١م.

١٤٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (الهيثمي) نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن ت٨٠٧هـ، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١٤١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (ابن عطية) عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن عطية أبو محمد الغرناطي ت٥٤٦هـ، تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
١٤٢) المحاور الخمسة للقرآن الكريم: محمد الغزالي، دار الصحوة،القاهرة، ط٥، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٤٣) مختار الصحاح: (الرازي) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت ٧٢١هـ، مراجعة: محمود خاطر، مكتبة لبنان بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٨٥م.
١٤٤) مدخل إلى القرآن الكريم (عرض تاريخي وتحليل مقارن): (دكتور) محمد عبد الله دراز، نرجمة: محمد عبد العظيم علي – مراجعة: دكتور السيد محمد بدوي، دار المعرفة الإسكندرية.
١٤٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: (ابن هشام) عبد الله بن يوسف النحوي الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، طبعة بدون ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٤٦) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: (ابن القيم) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤٧) المفردات في غريب القرآن: (الراغب) الحسين بن محمد الأصفهاني أبو القاسم ت ٥٠٢هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.
١٤٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، الطبعة لم تذكر، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
١٤٩) المستدرك على الصحيحين: (الحاكم) محمد بن عبد الله بن البيع النيسابوري أبو عبد الله ت٤٠٥ هـ، مراجعة: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، الطبعة لم تذكر.
١٥٠) المستصفى من علم الأصول، (الغزالي) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ت ٥٠٥هـ، دار الفكر، بيروت.
١٥١) مسند أبي يعلى: (أبو يعلى) أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (٢١٠ -ت٣٠٧هـ)، مراجعة: حسين سليم أسد، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م، دار المأمون للتراث - دمشق.
١٥٢) مسند إسحاق بن راهويه: (ابن راهويه) إسحاق بن إبراهيم بن راهويه الحنظلي

(ت ٢٣٨هـ)، مراجعة: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة.
١٥٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: (الشيباني) أحمد بن حنبل أبو عبد الله ت٢٤١هـ، مؤسسة قرطبة، مصر.
١٥٤) مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.
١٥٥) مصادر التفسير: (دكتور) مساعد سليمان الطيار، بحث منشور في شبكة التفسير والدراسات القرآنية.
١٥٦) المصطلح وإشكالية الاصطلاح مقال مجلة البيان السنة الرابعة عشرة العدد١٤٠ربيع الآخر ١٤٢٠ هـ اغسطس ١٩٩٩م.
١٥٧) المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ: عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج، تحقيق: د. صالح الضامن مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٥٨) المصنف: (عبد الرزاق) بن همام الصنعاني أبو بكر ت٢١١هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
١٥٩) معالم التنزيل (تفسير البغوي): (البغوي) أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء.
١٦٠) المعجم الأوسط، (الطبراني) سليمان بن أحمد بن أيوب، مسند الدنيا أبو القاسم ت٣٦٠ هـ، مراجعة: محمود الطحان، مكتبة المعارف -الرياض، ١٤٠٥-١٩٨٥م.
١٦١) المعجم الكبير، (الطبراني) سليمان بن أحمد بن أيوب، مسند الدنيا أبو القاسم ت٣٦٠ هـ، مراجعة: حمدي عبد الحميد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م.
١٦٢) معجم مقاييس اللغة، (ابن فارس) أحمد بن فارس بن زكريا الرازي أبو الحسين ت٣٩٥هـ بتحقيق وضبط عبد السلام هارون، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩م، دار الجيل.
١٦٣) معرفة علوم الحديث: (الحاكم) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
١٦٤) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار بتخريج ما في الإحياء من الأخبار: (العراقي) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أبو الفضل ت٨٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت (في هامش الإحياء).

١٦٥) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: (ابن قدامة) موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي أبو محمد ت٦٢٠هـ، دار الفكر، بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ.
١٦٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: (ابن هشام) عبد الله بن يوسف النحوي الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، طبعة بدون ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٦٧) المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
١٦٨) مقدمة في أصول التفسير(ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ت٧٢٨هـ، تحقيق: الدكتور عدنان زرزور المدرس بكلية الشريعة جامعة دمشق، والكتاب ضمن كتاب مجموعة الرسائل الكمالية -رقم ١- في المصاحف والقرآن والتفسير -خمسة كتب- الناشر: مكتبة المعارف- محمد سعيد حسن الكمال- الطائف: شارع الكمال.
١٦٩) مقدمة في أصول الحديث: عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي، تحقيق: سلمان الحسيني الندوي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٧٠) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: (الغزالي) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، نشر: الجفان والجابي – قبرص، ط١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
١٧١) المنامات: (ابن أبي الدنيا) عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي أبو بكر، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط١، ١٤١٣ – ١٩٩٣.
١٧٢) مناهل العرفان في علوم القرآن: (الزرقاني) محمد عبد العظيم، ط٣، ١٩٤٣هـ، دار إحياء الكتب العربية.
١٧٣) المنثور في القواعد: (الزركشي) بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي ت٧٩٤هـ، تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت،ط ٢، ١٤٠٥هـ.
١٧٤) منهاج السنة النبوية، (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ت٧٢٨هـ، د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة،ط١، ١٤٠٦هـ.
١٧٥) المنهج النبوي في التعليم القرآني: (دكتور) عبد السلام مقبل المجيدي، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط١١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٧٦) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي: محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٦.
١٧٧) الموافقات في أصول الشريعة: (الشاطبي) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي أبو إسحاق ت ٧٩٠ هـ، توزيع عباس أحمد الباز، الطبعة لم تذكر.
١٧٨) موطأ الإمام مالك: (الأصبحي) مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي ت١٧٩هـ، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي، مصر.
١٧٩) الناسخ والمنسوخ: (النحاس) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر ت٣٣٩هـ، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ.
١٨٠) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: (ابن حزم) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٨١) النبأ العظيم: (دكتور) محمد عبد الله دراز: اعتنى به وخرج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخيني، ط١، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م، دار طيبة - الرياض.
١٨٢) نثر الورود على مراقي السعود(الشنقيطي) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، تحقيق وإكمال تلميذه الدكتور: محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي - الناشر: محمد محمود محمد الخضر القاضي - دار المنارة جدة ط١، ١٤١٥ - ١٩٩٥م.
١٨٣) النشر في القراءات العشر: (ابن الجزري) شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي أبو الخير ت ٨٣٣هـ، أشرف على تصحيحه ومراجعته- علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي.
١٨٤) نصب الراية لأحاديث الهداية: (الزيلعي) عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي ت٧٦٢هـ، تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، مصر، ١٣٥٧هـ.
١٨٥) نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
١٨٦) نظرية النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية، (دكتور) أحمد مكي الأنصاري، دار النشر لم تُذكر، ط١، ١٤٠٥ هـ.
١٨٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت٨٨٥هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٨٨) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٩٦٨.
١٨٩) النكت على مقدمة ابن الصلاح: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف – الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٩٠) النهاية في غريب الأثر: (ابن الأثير) المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن الأثير الجزري، مراجعة طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٩١) نواسخ القرآن: (ابن الجوزي) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٩٢) هجر العلم ومعاقله في اليمن: (الأكوع) القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر، بيروت،ط١٤١٧،١هـ-١٩٩٦م.

المحتويات

الإهداء ١
المقدمة ٢
الفصل التمهيدي: مبادئ علم أصول التفسير ٤
المبحث الأول: أهم المؤلفات في أصول التفسير، والموضوعات المندرجة فيه: ٦
المبحث الثاني: الموضوعات المندرجة في هذا العلم ترجع إلى ثلاثة أقسام: ٧
المبحث الثالث: مبادئ علم التفسير: ٧
تعريف علم التفسير: ٧
المبحث الرابع: من صور التفسير في عهد النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- وصحبه: ٩
المبحث الخامس: شرف علم التفسير: ١٢
قاعدة: احتياج القرآن للتفسير سببه كمال القرآن ونقص الإنسان: ١٤
المبحث السادس: أنواع التفسير: ١٥
التقسيم الأول: باعتبار محتوى التفسير ومضمونه: ١٥
التقسيم الثاني: باعتبار أسلوب التفسير: يمكن تقسيمه إلى الأنواع التالية: ١٥
التقسيم الثالث: باعتبار مصدر التفسير: ١٦
المبحث السابع: بين التفسير والتأويل: ١٧
تعريف التأويل: ١٧
التأويل في الاصطلاح: ١٧
الفرق بين التفسير والتأويل والنسبة بينهما: ١٨
أنواع التفسير بحسب قاعدة التأويل والتفسير: ١٩
المبحث الثامن: مبادئ علم أصول التفسير: ٢٠
أهميته: ٢٠
نشأة علم التفسير وأصوله: ٢١
قاعدة: يتفاوت الناس ومنهم الصحابة في فهم القرآن الكريم: ٢٢
الفصل الأول: أهم مصادر التفسير (أمهات مآخذ التفسير) ٢٤
المصدر الأول: (القرآن الكريم) تفسير القرآن بالقرآن ٢٧
قاعدة: القرآن يصدق بعضه بعضاً، فلا تناقض ولا اختلاف تعارض: ٢٧
من صور تفسير القرآن بالقرآن: ٢٧
الصورة الأولى: (المقابلة بين الإيجاز والإطناب): ٢٧
الصورة الثانية: أن يُحْمَلَ المُجْمَلُ على المبين ليفسر به: ٢٨
الصورة الثالثة: حمل المطلق على المقيد: ٢٨
الصورة الرابعة: حمل العام على الخاص: ٢٩
قاعدة: تقوم القراءات القرآنية الثابتة مقام الآيات المتعددة: ٢٩
مدى حجية هذا المصدر: ٣٠

المصدر الثاني: (السنة النبوية) تفسير القرآن بالسنة ٣١
سبب تفسير النبي ﷺ للقرآن: لأنه ﷺأمر بتعليم الكتاب والحكمة، والبلاغ المبين الشامل للفظ والمعنى ٣١
مكانة هذا المصدر: ٣١
التفسير النبوي وكتب السنة النبوية: ٣٢
نوع التفسير الوارد في كتب التفسير التي في كتب الحديث: ٣٢
من أمثلة التفسير النبوي للآية مما يورده أئمة الحديث: ٣٣
قاعدة: يكثر الحديث المرسل في كتب التفسير، ومنه المقبول ومنه المردود: ٣٣
ومن أمثلة المراسيل الواردة في التفسير: ٣٤
تفصيل وجوه تفسير السنة النبوية للقرآن الكريم: ٣٦
الوجه الأول: تفسير القرآن بالقول (بالنص): ٣٦
الوجه الثاني: تفسير النبيﷺ المستنبط من القرآن الكريم (احتمالاً): ٣٦
الوجه الثالث: تفسير أسباب النزول للقرآن الكريم: ٣٧
الوجه الرابع: تفسير السيرة النبوية والشمائل المصطفوية للقرآن الكريم: ٣٧
مقدار التفسير النبوي للقرآن الكريم(): ٣٨
قاعدة: تفسير النبي ﷺبالمثال لا يمنع غيره من الأقوال ٤٠
المصدر الثالث: (الصحابة) تفسير القرآن بأقوال الصحابةﷺ ٤٢
المبحث الأول: سبب تفسير القرآن بأقوال الصحابةﷺ: ٤٢
المبحث الثاني: مصادر تفسير الصحابةﷺ: ٤٤
المطلب الأول: تفسير الصحابي الذي يعود للنقل المصدَّق عن رسول اللهﷺ: يمكن بيانه في النقاط الآتية: ٤٤
المطلب الثاني: تفسير الصحابي الذي يعود إلى البحث المحقق (الاجتهاد): ويتعلق به ثلاثة أمور: ٤٦
الأمر الأول: البحث المحقق (الاجتهاد) في التفسير من الصحابةﷺ: ٤٦
حالات اجتهاد الصحابةﷺ في عصر الرسولﷺ: هما حالتان: ٤٧
الأمر الثاني: حجية اجتهاد الصحابي في تفسير الآية إذا لم يكن مرفوعاً أو أقره النبيﷺ: ٤٨
الأمر الثالث: مصدر الاجتهاد: ٥٠
المبحث الثالث: صور تفسير الصحابةﷺ للقرآن الكريم: ٥٢
المصدر الرابع: (اللغة) تفسير القرآن باللغة العربية ٥٣
المبحث الأول: سبب جعل اللغة مصدراً للتفسير: ٥٣
المبحث الثاني: ما هو المراد من علم العربية في أصول التفسير؟: ٥٤
أهمية معرفة الفروق اللغوية الدقيقة: ٥٥
المبحث الثالث: من القواعد التفسيرية في هذا المصدر: ٥٦
قاعدة: كل ما خرج عن مقتضى الظاهر لغة فلا بد له من سبب: ٥٦
قاعدة: توجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من اللغات أولى من توجيهه إلى الأنكر (الأغرب أو الأبعد) ما وجد إلى ذلك سبيل. ٥٧

قاعدة مقابلة: قد يوجد في القرآن الكريم ما يُفَسَّرُ على المعنى القليل من لغة العرب:.... ٥٧
قاعدة: القرآن حمال وجوه فما احتمله جاز به التفسير، لا ما حُمِّله: ٥٨
قاعدة: الأصل الجمع بين المعاني التي تحتملها الآية:..... ٥٩
المصدر الخامس: (الرأي) تفسير القرآن بالاجتهاد المقبول والرأي السائغ..... ٦١

مشروعية التفسير بالرأي (بالاجتهاد): ٦١
أدلة المانعين: ٦١
الدليل الأول: النهي عن الظن فقد قالوا: التفسير بالرأي قولٌ على الله بغير علم لأنه مبنيٌ على الظن، وذلك منهيٌ عنه فالتفسير بالرأي منهيٌ عنه: ٦١
الدليل الثاني: أحاديث ذم الرأي في تفسير القرآن، ومنها:..... ٦٢
الدليل الثالث: الأحاديث والآثار في ذم الرأي مطلقاً، وهي كثيرة، ومنها:..... ٦٣
الدليل الرابع: الآثار الواردة عن الصحابة ﷺ والتابعين الدالة على تحرجهم عن الخوض في التفسير عموماً والتفسير بالرأي خصوصاً: ٦٣
مجمل أدلة المجيزين للتفسير بالرأي بضوابطه:..... ٦٤
النتيجة: الجمع بين كلام المجيزين والمانعين:..... ٦٤
نماذج للخطأ في التفسير بالرأي: ٦٥
حديث الظهر والبطن للقرآن: ٦٧
العلوم التي يحتاج إليها المفسر ليجتهد في التفسير:..... ٦٨
التحذير من المسارعة إلى التفسير بغير علم: ٧٠
منهج المفسرين بالرأي:..... ٧٠
قانون الترجيح عند الاحتمال:..... ٧١
الفصل الثاني: ما يذكر على أنه من مصادر التفسير ٧٣

المبحث الأول: مكانة تفسير التابعين كمصدر تفسيري ٧٦
المبحث الثاني: مكانة أهل الكتاب كمصدر تفسيري..... ٧٦
غير أن النقل عن أهل الكتاب بات مصدراً لإثراء التفسير من حيث الواقع فما الموقف مما نجده من روايات عنهم؟ ٧٨
يجب أن نلحظ أمرين:..... ٧٩
الأول: لا يفسر به القرآن ما لم تدل قرينة على الاستئناس به في التفسير..... ٧٩
الثاني: عدم سؤالهم وتحريهم عن شيء من التفسير لعدم الاحتياج إليه: ٧٩
الفصل الثالث: علوم القرآن التي تؤدي إلى فهم الخطاب القرآني ٨١

أسباب صعوبة فهم المراد من الكلام: ٨٤
الأصل الأول: مقاصد القرآن الكريم: محاوره العلمية الكلية، ومقاصده الغائية: ٨٥
المقاصد الغائية لتنزيل القرآن الكريم: ٨٧
الأصل الثاني: غريب القرآن..... ٨٨
المبحث الأول: تعريف الغريب القرآني وأقسامه: ٨٨
ومما يبين أهميته في باب الغريب الأمثلة الآتية: ٨٩
المبحث الثاني: من أمثلة الغريب:..... ٨٩
الأصل الثالث: أسباب النزول:..... ٩١

قاعدة: آيات القرآن على نوعين من حيث النزول: ابتدائي، وسببي..... ٩١
النوع الأول: النزول الابتدائي: ٩١
النوع الثاني: النزول السببي: ٩١
سبب التوسع في إيراد أسباب النـزول:..... ٩٢
قاعدة: قولهم نزلت آية أو آيات كذا في كذا ليس نصاً صريحاً في السببية، بل قد يكون معناه تضمن الآيات للقصة:..... ٩٢
قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:..... ٩٤
قاعدة: "دخول صورة السبب قطعي": ٩٥
فوائد معرفة سبب النـزول:..... ٩٦
الأصل الرابع: النسخ:..... ١٠٢
تعريف النسخ:..... ١٠٢
وجه الصعوبة في باب معرفة الناسخ والمنسوخ في التفسير: ١٠٣
ووجه الإشكال:..... ١٠٤
قاعدة: النسخ عند المتقدمين أوسع من معناه عند المتأخرين ١٠٤
فقد يستعمل النسخ عند المتقدمين في معنى التخصيص والتقييد فهو أوسع من استعمال المتأخرين. ١٠٤
أنواع النسخ:..... ١٠٥
مثال من المواضع التي قيل بأنها منسوخة:..... ١٠٨
الأصل الخامس: علم المناسبات القرآنية: ١١٠
ارتباطه بأصول التفسير: ١١٠
أبرز معالم نشأته وتطوره وأهم مصادره: ١١١
تعريف علم المناسبة:..... ١١٣
فائدة هذا العلم:..... ١١٤
أبرز من رد علم المناسبات: ١١٤
أنواع علاقات التناسب:..... ١١٥
القانون الكلي لمعرفة المناسبة: ١١٧
أسباب ارتباط الآي بعضها ببعض:..... ١١٧
قاعدة: خصوص السياق لا يقتضي تخصيص المنساق بالضرورة:..... ١١٩
قاعدة: يشترط الزمان في سبب النـزول لا في المناسبة: ١١٩
الأصل السادس: فن التوجيه: ١٢٠
المبحث الأول: المقدمات التعريفية:..... ١٢٠
المبحث الثاني: مجمل المشكلات التي تحتاج إلى التوجيه: ١٢٠
ومن الأمثلة الدقيقة التي توضح أن التوجيه يختلف بحسب الأفهام: ١٢٠
قانون التوجيه:..... ١٢٢
المبحث الثالث: من أنواع المسائل التي تحتاج إلى التوجيه: ١٢٣
الأول: أن يذكر الله تعالى وصفاً دون غيره: ١٢٣
الثاني: أن يظهر من وضع الآية في المصحف التأخر مع تقدم السبب بفترة طويلة: .. ١٢٤
الثالث: أن يظهر إشكالٌ في الترتيب:..... ١٢٤
الرابع: ظهور ما يوهم التناقض (التعارض) بين الآيتين:..... ١٢٦

أسس في الكلام على موهم التناقض (التعارض): ١٢٦
ومن أجمع الأمثلة على توجيه هذا النوع: ١٢٧
الأصل السابع: المحكم والمتشابه: ١٣٠
قاعدة: الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: ١٣٠
التعريف المعتبر للإحكام الخاص: ١٣٠
التعريف المعتبر للمتشابه الخاص: ١٣٠
من أسباب التشابه: ١٣١
أقسام كلمات القرآن وتراكيبه: ١٣٢
تقسيم الراغب الأصفهاني للمتشابه: ١٣٢
حكمة وجود المتشابه في القرآن الكريم: ١٣٤
الأصل الثامن: أبرز القواعد اللغوية التفسيرية ١٣٥
المبحث الأول: الحذف: ١٣٥
قاعدة: الأصل عدم الحذف فلا بد من دليل يقوم عليه: ١٣٥
أدلة الحذف: ١٣٥
أقسام الحذف المذكورة في القرآن مما يتعلق بالتفسير: ١٣٦
الفاء الفصيحة والحذف: ١٣٦
المبحث الثاني: التضمين ١٣٦
قاعدة: تتضمن الأفعال معاني أخرى غير ظاهرها إذا عديت بغير حرفها المعتاد. ١٣٧
المبحث الثالث: الإطناب ١٣٧
قاعدة: الإطناب في القرآن إيجاز: ١٣٨
أقسام الإطناب: ١٣٨
المبحث الرابع: الترادف ١٣٩
قاعدة: الأصل عدم الترادف بين الكلمات: ١٣٩
المبحث الخامس: الالتفات ١٤٠
أقسامه: ثلاثة أقسام: ١٤٠
بدع التفسير في اللغة: ١٤١
الفصل الرابع: أهم قواعد التفسير التي تكثر الحاجة إليها ١٤٢

أنواع القواعد التفسيرية: هناك نوعان من القواعد التفسيرية: ١٤٧
أهم المراجع: ١٥٣

قرآن يتلىٰ لإنسانية ترقىٰ

بصائر المعرفة القرآنية

مؤسسة تسعى لتقريب بصائر القرآن
الحكيم وهداياته إلى الإنسان، وتتبني
بأفق قرآني البدائل العلمية
والتعليمية والإعلامية لتكون سبيلا
إلى رقي الإنسانية ونهوضها الحضاري